وزارة التعليـم العـالي والبحث العلمي

جـامعة غـرداية

كلية العلوم الاجتماعية والانسانية

قسم التاريخ

# نظرة الكتابات المحلية والأجنبية للوجود العثماني في الجزائر

مذكّرة مقدمة لاستكمال متطلّبات نيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص: تاريخ المغرب العربي الحديث

إعداد الطالب: عمر قشوش

إشراف الدكتور: أحمد جعفري

لجنة المناقشة

| الاسم واللقب | الجامعة الأصلية | الصفة |
|---|---|---|
| د/ عامـر زنـاتي | جامعة غرداية | رئيسا |
| د/ أحمـد جعفـري | جامعة غرداية | مشرفا ومقرراً |
| د/ الشافعي درويش | جامعة غرداية | عضوا مناقشا |

الموسم الجامعي: 1439-1440هـ/2018-2019م

وزارة التعليـم العـالي والبحـث العلمي

جامعة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية والانسانية

قسـم التاريخ

# نظرة الكتابات المحلية والأجنبية للوجود العثماني في الجزائر

مذكّرة مقدمة لاستكمال متطلّبات نيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص: تاريخ المغرب العربي الحديث

إعداد الطالب:

عمـر قشـوش

إشراف الدكتور:

أحمـد جعفـري

الموسم الجامعي: 1439-1440هـ/2018-2019م

"إن من جنايات الاستعمار الأوروبي على البشرية أنه قلب حقائق التاريخ على الناس، فقد صور الأمم التي ابتليت به وأصيبت بشره، بصور من الهمجية والوحشية والتأخر والانحطاط لا أبشع منها، ذلك ليبرر استيلاءه عليها، ومن عليها بما زرعه فيها عمران ، وإن كان هو المستغل لذلك العمران والمستبد به".

الإمام عبد الحميد بن باديس

**قائمة المختصرات**

**القسم العربي:**

| الرمز | المعنى | الرمز | المعنى |
|---|---|---|---|
| ج | جزء | ط خ | طبعة خاصة |
| ص | صفحة | د ط | دون طبعة |
| ص ص | صفحات متلاحقة | ط خ | طبعة خاصة |
| ط | طبعة | تعر | تعريب |
| تق | تقديم | تح | تحقيق |
| تع | تعليق | م .و. ك | المؤسسة الوطنية للكتاب |

**القسم الأجنبي:**

| بالفرنسية | |
|---|---|
| N° | Numéro |
| P | Page |
| PP | Pages successives |
| T | Tome |
| VOL | Volume |
| Ibid. | Dans le Même Ouvrage |
| Op.cit. | Ouvrage précité |
| R.A | Revue Africaine |
| Edit | Edition |
| R O M M | Revue des Mondes Musulmans et de la Méditerranée |

# الإهداء

إلى والدتي المباركة شفاها الله .وبارك في عمرها ومتعها متاع الصالحين واللّهم جازها خير ما جازيت به والدة عن أولادها وأرزقني برّها.

أتوجه بالدعاء لوالدي رحمه الله بأن يتغمّده الله برحمته وأن يجمعنا به في دار كرامته.

عائلتي الكريمة "قشوش" ، "هواري" ، "فنيش " ، "سبتي" ، "بهاز"

إلى أصدقائي "صالح بن عطالله"، "حسين رزمة"، "ياسين قزيز"، "ياسين بن عبد الرحمان" " عمار، ابراهيم، جعفر، بوعمامة، موسى

إلى من سرنا سويا ونحن نقطف ثمار تعلمنا إلى أصدقائي وزملائي في العمل والدراسة بجامعة غرداية

إلى من علمونا حروفا من ذهب وكلمات من درر وأسمى وأجلى عبارات في العلم إلى من صاغوا لنا علمهم حروفا ومن فكرهم منارة تنير لنا مسيرة العلم والنجاح إلى أساتذتنا الكرام.

إلى كل من وسعتهم ذاكرتي ولم تسعهم مذكرتي إلى كل من تمنى لي النجاح ولو بفكرة أو بالدعاء أو كلمة طيبة كل هؤلاء اهدي لهم ثمرة جهدي.

عمر قشوش

# شكر و عرفان

الحمد لله الذي أصبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة، وفضلنا على كثير ممن خلق تفضيلا.

أولا أحمد المولى عزوجل على توفيقه لي في انجاز هذا العمل

ثم أتوجه بالشكر والتقدير للدكتور " أحمد جعفري" الذي أكرمني بتوجيهاته وتصويباته وسهل لي كثيرا من العقبات سهل الله طريقه إلى الجنة

كما أتقدم بجزيل الشكر إلى جميع أساتذة قسم التاريخ بجامعة غرداية

بفضل الله ثم بفضلهم وصلنا إلى هذا المستوى من المعرفة وأشكر كل من أسدى إليا معروفا ولو بفكرة أو دعوة صالحة وأخص منهم:

عميد كلية العلوم الاجتماعية والانسانية الدكتور صالح بوساليم، الدكتور ملاخ عبد الجليل، الدكتور دمانة أحمد، الدكتور عواريب لخضر، الدكتور فوزي بن ابراهيم، زناتي عامر، بوقراف جلول، تريعة موسى، الشافعي درويش، الشيخ لكحل، بكار الدهمة،

الدكتور بيدة عبد المالك، الأستاذة رحيمة بيشي، الأستاذة محمة عائشة، الأستاذة آل سيد الشيخ سعاد، الأستاذة نواصر نصيرة، الأستاذة بن صغير يمينة حضري

كما أتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى كل من قدّم لي المساعدة من قريب أو بعيد في مشوار الحياة والدراسة.

ولا يفوتني أن أشكر كل موظفي مكتبة الجامعة وبالأخص السيدة:رشيدة لعناق

والسيد: عمر صيتي ، والسيد موسى بن خليفة مسير مكتبة بلدية زلفانة وموظفي إدارة كلية العلوم الاجتماعية والانسانية وخاصة قسم التاريخ

# مقدمة

كان لزخم الاحداث السّياسية والعسكرية التي عرفها الحوض الغربي للمتوسط عموما والجزائر على وجه الخصوص ما بين القرنين 16م و19 الميلاديين، أنْ خُصّص للفترة الزمنية التي انضوت الجزائر فيها تحت الخلافة العثمانية مجموعة من الدراسات والأقلام حاولت تصوير تلك الأحداث إنْ عرضاً او تخصصاً، سواءً كتبت لذاتها ام لأهداف معينة، في شتى فنون الادب والرحلة والنوازل الفقهية والتاريخ محلياً، يقابل ذلك ما دوّنه الأسرى ورجال الدين والرحالة الأروبيين وحتى بعض القناصلة والسياسيين المتأخرين منهم والمتقدّمين، تباينت تلك الكتابات في وصف السلطة العثمانية في الجزائر بين منصف ومتحامل معتدل وبغيض، وبغض النظر عن الأهداف والدوافع التي كتبت من أجلها، يجمع الكثيرون على أن تلك الكتابات ساهمت بشكل أو بآخر في تدوين تاريخ الجزائر في الفترة الحديثة.وانطلاقا من ذلك جاءت دراستنا موسومة بعنوان: "**نظرة الكتابات المحلّية والأجنبية للوجود العثماني في الجزائر**".

**حدود الدراسة**

- **الإطار المكاني** : فموضوع الدراسة حول الجزائر من خلال نظرة الكتابات المحلّية والأجنبية للوجود العثماني فيها.
- **الإطار الزماني** :فترة الوجود العثماني بالجزائر 1519م إلى غاية 1830م.

**أسباب اختيار الموضوع**

- **ذاتية:** هي التعرف على الصورة العامة للجزائر من خلال الكتابات المحلية والأجنبية وانتماءاتها وتوجهاتها.

-ميلي للدراسات الخاصة بالفترة الحديثة لبلاد المغرب عموما والوجود العثماني في الجزائر على وجه الخصوص

-**موضوعية:** التعرف على طبيعة الكتابات المحلية والأجنبية واختلافها ومدى إعطائها لصورة حقيقية حول نظرتها للوجود العثماني ومدى تقييم السلطة الحاكمة.

**الإشكالية:**

يرتكز الموضوع في معالجة الإشكالية المتمثلة في السؤال الآتي:

- كيف نظرت الكتابات المحلية والأجنبية للوجود العثماني في الجزائر؟

اندرجت تحتها جملة من الأسئلة الفرعية:

- ما ظروف انضمام الجزائر للدولة العثمانية ؟
- هل كان هناك تأييد مطلق للقوى المحلية للعثمانيين وما مدى استمرار هذا الدعم؟
- فيما تكمن نظرة الكتابات المحلية والأجنبية لدور السلطة لمختلف مجالات الحياة العامة في الجزائر؟
- كيف كانت نظرة الكتابات الأجنبية للسلطة وعلاقتها مع الجزائريين ؟

**خطة البحث:**

وللإجابة على هذه التساؤلات اتبعت خطة احتوت على: مقدمة وثلاثة فصول، وخاتمة.

ففي **الفصل الأول** الذي جاء تحت عنوان: **انضمام الجزائر للدولة العثمانية**، تناولت فيه أوضاع المغرب الأوسط نهاية القرن الخامس عشر (15) وبداية القرن السادس عشر(16)، وتطرقت فيه أيضا إلى التحرشات الإسبانية على سواحل المغرب الأوسط ، بالإضافة إلى انضمام الجزائر للدولة العثمانية.

أما **الفصل الثاني** فجاء بعنوان: **نظرة الكتابات المحلية للوجود العثماني في الجزائر**، وقفت فيه على التأصيل الشرعي للجهاد البحري، و دراسة العلاقة بين الحكام والمحكومين وعرجت فيه بعد ذلك على نظرتهم للقضاء، والعلم وعلاقة العلماء بالحكام والاهتمام بالثقافة، وأيضا مآثر الحكام المتعلقة بالتشييد والعمران.

وفي **الفصل الثالث** المعنون: **نظرة الكتابات الأجنبية للوجود العثماني في الجزائر**، وفيه تناولت نظرتهم للنشاط البحري الجزائر (القرصنة)، وموضوع الأسرى ومعاملتهم، بالإضافة إلى وصفهم لعلاقة الحكام والمحكومين، ونظرتهم لموضوع القضاء والأمن، وأنهيت الفصل بدور الحكام في الحفاظ على المال العام والضرائب المفروضة على الأهالي.

وذيّلت المذكّرة بخاتمة، ضمنّتها أهم النتائج التي توصلت إليها في دراستي هذه، ثم أتبعت الخاتمة بملاحق وقائمة المصادر والمرجع المعتمدة.

**الأهمية والأهداف:**

- إبراز الصورة العامة لطبيعة الوجود العثماني في الجزائر وظروفه من خلال إبراز الحتمية التاريخية لذلك.
- التعرف على نظرة الكتابات التاريخية المحلية للوجود العثماني في الجزائر والتعرف على آراء الكتّاب فيها ومدى انسجام العثمانيين مع القوى المحلية.
- التعرف على رأي ونظرة الكتّاب الأجانب وكيف كانوا ينظرون إلى الوجود العثماني من خلال المجالات التي تم التطرق لها وما تناولته كتاباتهم وتقييمهم وأحكامهم على السلطة ومعاملتهم لمختلف الشرائح الأهالي الأسرى وغيرهم.

**الدراسات السابقة:**

لقد جلب موضوع الكتابة التاريخية للجزائر اهتمام القليل من الباحثين والمؤرخين خاصة دراسة الكتابة التاريخية خلال الفترة العثمانية حيث وجدت دراسة في هذا الموضوع وهي مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث للطالب شاطو محمد بعنوان: نظرة المصادر الجزائرية للسلطة العثمانية بجامعة الجزائر والتي تحتوي على معلومات هامة وشاملة.

**المنهج المعتمد:**

للإجابة على هذه التساؤلات والوصول للهدف المنشود من هذه الدراسة اعتمدت على المناهج التالية:

استخدمت المنهج التاريخي لأهميته في ذكر أوضاع المغرب الاسلامي نهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس والتحرشات الاسبانية وكذا ظروف انضمام الجزائر للدولة العثمانية وتتبع الوقائع، أما المنهج التحليلي فوظفته في تحليل النصوص التاريخية المحلية منها والأجنبية لأجل التعرف

على طبيعة هذه الكتابات مع استعمال المنهج المقارن في بعض الأحيان لمقارنة الكتابات ونظرتها للوجود العثماني في الجزائر.

**أهم المصادر والمراجع المعتمدة في الدراسة:**

وقد اعتمدت في بحثي هذا على مجموعة من المصادر والمراجع أهمها:

- **مذكرات خير الدين** بربروس لمجهول ترجمه للعربية محمد دراج يتحدث الكتاب عن أصل بربروسة وجهادهم البحري في حوض المتوسط واستقرارهم في سواحل شمال افريقيا وتأسيس إيالة الجزائر، لينتهي الكتاب بالحديث عن حملة شارلكان على مدينة الجزائر1541م.
- **التحفة المرضية لابن ميمون** الذي عاصر فتح وهران الأول في عهد محمد بكداش وكتاب **الثغر الجماني لابن سحنون الراشدي** حققه وقدّمه اشيخ المهدي البوعبدلي وصاحب الكتاب كان مرافقا لجيش الفتح الثاني لوهران سنة 1971م حيث أن كلا الكتابين تناولا قضايا محددة خاصة الجانب السياسي من سردهما لاحداث تحرير وهران الأول والثاني والجهاد ضد الإسبان.
- **نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار** لمؤلفه **الحسين الورثيلاني** الكتاب في جزئين ويعتبر موسوعة وصف فيها الدول والمدن وأهلها وعلمائها وأحوالها ودونه في أثناء رحلته الحجّية.
- **الزهرة النيرة لمحمد ابن رقية التلمساني** الذي أرّخ لتسع حملات عسكرية وكان معاصرا لحملة أوريلي سنة 1775م.
- **مذكرات أحمد الشريف الزهار** نقيب أشراف الجزائر حققه المؤلف أحمد توفيق المدني، ويعد من المصادر المهمة للفترة المتأخرة من العهد العثماني وتناول فيه العديد من الحكام وأعمالهم وأهم الاحداث التي جرت في عهدهم.
- **المرآة لحمدان بن عثمان خوجة** ترجم للعربية لأول مرة من قبل محمد بن عبد الكريم، وترجم مرة ثانية من قبل محمد العربي الزبيري ويعتبر مصدرا مهما لنهاية الحكم العثماني بداية السنوات الأولى للاحتلال الفرنسي للجزائر.
- **مذكرات كاثكارت (جيمس ليندر)** من أصل أمريكي وقع في أسر البحارة الجزائريين في البحر المتوسط سنة 1785م، وعين بعد تحريره قنصلا لأمريكا في إيالة الجزائر ودون العديد من المعلومات عن الجزائر منها الحياة الاجتماعية ، الأسرى في الجزائر وتحدث عن الحكم والإدارة ترجم كتابه الأستاذ إسماعيل العربي.

- De Haedo Fray Diego: Topographie et Histoire générale d'Alger, et De la captivité à Alger, et Histoire des rois d'Alger.

**تاريخ ملوك الجزائر و طبوغرافيا التاريخ العام لمدينة الجزائر لدييغو دي هايدو** الذي كان أسيرا بالجزائر بين سنتي 1578-1581م الكتاب الأول الذي ترجمه إلى الفرنسية دو غرامون ذكر فيه أزيد من ثلاثون من ملوك الجزائر والثاني ترجمه للفرنسية بربريغر ومونرو وصف فيه الكثير من الاوضاع لمناطق كثيرة في الجزائر والكتاب الثالث حول الأسر وصف فيه أوضاع الأسرى ومعاملتهم.

- La pierre Dan : Histoire de Barbarie et de ses Corsaires.

**تاريخ باربارايا وقراصنتها (الجزائر) للراهب بيار دان** الذي كلفته الكنيسة الفرنسية بافتداء الأسرى الفرنسيين بالجزائر سنة 1634م وتحدث فيه عن أتراك الجزائر والإسلام والمسيحية بالجزائر والقرصنة البحرية ومعاملة الجزائريين للأسرى وأوضاعهم.

- **رحلة هابنسترايت** نسبة للرحالة الألماني **هابنسترايت** هو طبيب وعالم نباتات قام برحلة إلى الجزائر سنة 1145هـ/1732م زار الجزائر وتونس وطرابلس ودون العديد من المعلومات والدقيقة حول عادات وتقاليد أهل مدينة الجزائر، وتطرق إلى مختلف الاثنيات في المجتمع، إلى غير ذلك من وصف المساجد والجوانب الحضارية بشكل عام .

- Venture De Paradis: Alger Ou 18 eme Siècle et Tunis, Et Alger Au 18 eme siècle.

**فانتور دي بارادي** وله كتابين **تونس والجزائر في القرن 18م** وهو عبارة عن تقارير عديدة، تتضمن معلومات غزيرة عن الحياة السياسية والاقتصادية عامة والناحية الثقافية خاصة، وقد جمعها الفرنسي جوزيف كوك، و **الجزائر خلال القرن 18م** التي زارها سنة 1789م وقدم معلومات قيمة وذكر عدد السكان والفئات الاجتماعية فيها .

- **مذكرات القنصل الامريكي وليام شالر** الذي يعد من رواد الدبلوماسية الأمريكية، شغل منصب قنصل في الجزائر ما بين سنة 1824 - 1816 م، وهذا المصدر متأخر قليلا إلا أنه يضم حقائق وشهادات يمكن الاستفادة منها في التاريخ الحديث وقد استقينا منه معلومات تخص الناحية السياسية والاجتماعية.

أما **عن المراجع:**

- **محمّد دراج**: الدخول العثماني للجزائر ودور الإخوة بربروس الطبعة الثانية والثالثة من تصدير الأستاذ ناصر الدين سعيدوني إذ يعتبر مرجعا مهما في جهود الإخوة في تحرير السواحل الجزائرية وتأسيس إيالة الجزائر، وقد استعنت به في الفصل الأول الذي خصصته لظروف الوجود العثماني في الجزائر .
- **جون ب .وولف**: الجزائر وأروبـا للكاتب الأمريكي ترجمه وعلّق عليه الدكتور أبو القاسم سعد الله الذي قام بتبويب الكتاب إلى ستة عشر فصل والكتاب يدوس أوضاع المغرب الاسلامي قبل الوجود العثماني وبعده وخاض في عديد من المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية منها نظام الحكم، الأسرى، القرصنة البحرية، الضرائب، واستعنت به في الفصل الأول والثالث.
- **عبد القادر فكاير**: الغزو الاسباني للسواحل الجزائرية وآثاره عبارة عن مرجع مهم خاصة أنّه يتناول الآثار السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية لهذا الغزو وتطرق المؤلف لظروف المغرب الأوسط وانضمام الجزائر للدولة العثمانية ودورها في تحرير السواحل من الاحتلال الاسباني واستعنت به في الفصل الأول.

**الصعوبات المعترضة:**

لا يخلو أي بحث من الصعوبات والتي تعود أساسا لطبيعته نذكر منها:

- صعوبة التعامل مع الموضوع خاصة من ناحية وضع الخطة وهذا ارجع إلى اختلاف المادة التاريخية من حيث النوعية بين المصادر.
- صعوبة الموضوع من ناحية الدراسة خاصة كونه يتعلق الكتابة التاريخية.
- صعوبة البحث في البحث في الكتابات المحلية خاصة انها اتسمت بالظرفية إضافة اهتمامها بالتراجم والأعلام فكانت أدبية ودينية أكثر منها تاريخية.
- صعوبة الربط لتشابك وتشابه المواضيع في الكتابات.
- صعوبة البحت في المصادر وضيق الوقت.

وفي الأخير، فإن أصبت في شيء من هذه الدراسة فبتوفيق من الله وحده وأتمنى أن أكون قد قدّمت بدراستي لهذا الموضوع مقدمة لما سيأتي بعدها، كونها جهد متواضع يحتاج إلى مجهودات أخرى، وآمل أن أكون عند حسن ظن أستاذي المشرف، وأضع هذه الدراسة أمام أساتذتي الأفاضل الذين

وكل إليهم مناقشة وتقويم وتصويب هذه المذكرة إن شاء الله وأن ننهل من علمهم والأخذ بنصائحهم، والله ولي التوفيق وعليه التوكّل.

# الفصل الأول

## انضمام الجزائر للدولة العثمانية

**المبحث الأول: المغرب الاسلامي نهاية القرن 15م**

**المبحث الثاني: التحرشات الإسبانية**

**المبحث الثالث: انضمام الجزائر للدولة العثمانية**

بلغ التفكك السياسي لبلاد المغرب أقصاه نهاية القرن الخامس عشر (15م) وبداية القرن السادس عشر(16م)، فرسم فسيفساء من الإمارات المتناثرة هنا هناك والتي لم يكن لها أي كيان سياسي موحد، وعجزت دويلات المنطقة عن توحيد جهودها في دحر ودفع الخطر الإسباني البرتغالي ، ما سهل على هاتين الدولتين غزو البلاد باستمرار واحتلال أجزاء منها ، نتيجة الصراع المتوازن بين المرنيين والزيانيين والحفصيين، الشيء الذي لم يمنح أي فرصة لأي عصبيّة للوصول إلى الحكم وتوحيد المغرب العربي الإسلامي، وبدوره ساهم في زرع بذور تقسيم المنطقة من جهة، والّذي تزامن مع بروز الصراع العثماني الأوروبي في السيطرة على حوض البحر الأبيض المتوسط، مما أدى إلى سقوط المغرب ضحية هاتين القوتين ، اللتين تعتبران فصلا مكملا لفصول الحروب الصليبية التي توقفت في المشرق الإسلامي لتبدأ بمغربه، فبعد أن احتلت أهم الموانئ والمدن الساحلية سعت للقضاء على الإمارات الداخلية، إلا أن دخول الأتراك العثمانيين[1] بالمنطقة حال دون تنفيد المخطط الإسباني .

## المبحث الأول : المغرب الاسلامي نهاية القرن 15م

### أولا: وضع المغرب الاسلامي بعد سقوط الموحديّن

شهد القرن 13م نهاية عهد الموحدين وعلى إثر ذلك تقسمت البلاد في منطقة المغرب العربي إلى عدة إمارات ودويلات ، حيث أثّر هذا التفكك على جميع المجالات ،استطاعت الممالك الثلاث أن تسيطر على المدن وعلى سكان البوادي منها العائلة الحفصيّة، التي تأسست في الجزء الشرقي( وهو قريب من تونس ) استمرت في الحكم إلى غاية القرن 16م[2].

شهد المغرب الأوسط تفككاً وتجزءً إلى وحدات سياسية صغرى، مما جعلها أكثر عرضة للحملات الإسبانية ، ويعود ذلك إلى ضعف أمراء الأقاليم على الحكم، وهذا الوضع لم يكن مجهولا

---

[1]– **الأتراك العثمانيين** : شعب من الأمة التترية وأصولهم من قبيلة تركية تسكن منطقة تركستان، أما عثمانية فتعود التسمية إلى عثمان ابن أرطغرل، مؤسس الدولة العثمانية، التي سميت باسمه بعد أن خلف والده على الحكم سنة680م، **ينظر**: محمد السعيد بوبكر: **العلاقات السياسية الجزائرية الإسبانية خلال القرن الثاني عشر هجري1119هـ/ الثامن عشر ميلادي1708م** ، بيت الحكمة، ط1، الجزائر، 2015م، ص 31.

[2]– جون ب. وولف: **الجزائر و أوروبا 1500– 1830م**، تر و تع: أبو القاسم سعد الله، دار المعرفة، ط خ، الجزائر، 2009م، ص23.

للإسبان الذين أرسلوا جواسيسهم على شكل تجار مسلمين، لكتابة تقارير حول المدن الساحلية، والتعرف على أوضاع المغرب الإسلامي، وإرسالها إلى الملك فيرديناند[1].[2]

كان للهجمة الإسبانية على السواحل المغاربية تداعيات سياسية على المنطقة، فقد افرزت وقوع عدة أحداث مما دفع بالسلطة في الجزائر أن تتفاعل معها، كما ترتب عنها في منطقة بلاد المغرب إلى التفريق بين القوى السياسية في المنطقة، وهذه ما حال دون التحالف بين الجزائر والمغرب رغم الجهود التي بذلت بين الطرفين، أما من الجهة الشرقية لحدود الجزائر سعت وبذلت كل جهودها إلى مناصرة التونسيين ضد الخطر الإسباني الواقع عليها والّذي استمر من سنة 1535م إلى 1574م.[3]

أما الجزء الغربي من المغرب الإسلامي، ظهرت اتحاد القبائل تحت ملوك رعاة يسمّون بنو مرين الدولة المرينية[4]، الّذين قضوا على حكم الموحدين في منتصف القرن 13م(1289م)، الّذين ساهموا في بناء حضارة وصلت قمّتها في نهاية القرن 14م، وبين هاتين المملكتين البربريتين أنشأت قبيلة أخرى بقيادة بني عبد الواد الذي هو أيضا ملك من الرعاة، الأسرة الزيّانية[5] في تلمسان، التي اتخذت عاصمة

---

[1]– **فيرديناند الثاني الكاثوليكي1452–1516) (Ferdinand) م**): بن فيرديناند الأول ملك الأرغون سنة 1452م، خلف والده في الحكم، فكان ملكا على الأرغون وصقلية (1479–1516م)، ثم نابولي (1504–1516م)، تميز حكمه بالشدّة و القسوة، كما تأسست في عهده محاكم التفتيش سنة 1480م لمطاردة المسلمين واليهود وتنصيرهم، تزوج من ملكة قشتالة إيزابيلا، وبهذا الزواج اتحدت أرغون وقشتالة، **أنظر**: رحيمة بيشي : **العلاقات السياسية التونسية الإسبانية في أواخر الدولة الحفصية) 898–982هـ/1494–1574م)** ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تخصّص التاريخ الحديث،(غ.م)، المركز الجامعي بغرداية ، 2012.، ص 18 .

[2]–محمد لومي وبلال مزاري :**الأوضاع السياسية والعسكرية للجزائر في فترة البيلربايات (1519/1587)**، (مذكرة لنيل شهادة الماستر تاريخ حديث ومعاصر)، جامعة جيلالي بونعامة – خميس مليانة ، 2017م، ص12 .

[3]– عبد القادر فكاير: **الغزو الإسباني لسواحل الجزائرية وأثره (910–1206هـ/1505–1792م)**، دار هومة للنشر، ط2،الجزائر، 2012م، ص155.

[4]– **الدولة المرينية** : نسبة إلى بنو مرين يعود بأصلهم إلى قبيلة زناتة ، كانوا يسكنون المنطقة الجنوبية من تلمسان، وينتشروا في صحراء فقيق والأغواط، ومن فروعهم بنو عبد الحق وبنو وطاس، وقد وقفو بنو مرين إلى جانب الموحدين وحكموا باسمهم ، ثم لما ضعفوا انتقضوا عليها، وبعد انتهاء عهد الموحدين برزت امارة بنو مرين وتلقب الأمير يوسف بأمير المؤمنين. **ينظر**: يحي بوعزيز: **الموجز في تاريخ الجزائر، الجزائر القديمة والوسيطة والحديثة**، ج 1– 2، دار البصائر للنشر، ط خ، الجزائر،2009م، ص180.

[5]– **الأسرة الزيانية** :( 1236هـ–1554م) عاصمتها تلمسان مؤسسها هو بن زيان بغموراسن، لقد شهدت هذه الدولة في أواخرها ضعفا ولم تعرف الاستقرار ، ذلك بسبب موقعها الذي فرض عليها أن تكون محصورة بين الحفصيين والزيّانيين مما ساعد على دخول الإسبان في السواحل التابعة لها، **ينظر**: يحي بن خلدون أبو زكريا: **بقية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، تق وتح

المملكة الزيّانية كمركز تبادل تجاري هام في المنطقة بين إفريقيا ودول البحر الأبيض المتوسط، وامتدت شرقا إلى قسنطينة وحدود المملكة الحفصية، غير أن هذا الموضع الخطر جعلها عرضة للأطماع الحفصيّة في الشرق، والخطر المريني في الغرب فالمرينيون هاجموا واحتلوا تلمسان بينما احتلّ الحفصيون قسنطينة، ونتيجة ذلك لم تظهر دولة قوية في المغرب الأوسط سوى بعض الممالك وبعض القبائل اتخذت من المدن موطنا لها تحت زعامات دينية وشهدت عدة حروب طاحنة فيما بينها [1].

أما دولة الزيّانية، فقد ادت الخلافات على العرش في تلمسان إلى تقلص نفود الملوك الزيانيين فيها، وتجزأة سلطتهم إلى جمهوريات مدن صغيرة في وهران والجزائر ، وإلى امارات في تنس والزاب والحضنة، وتقرت ، قبل أن تتعرض إلى الاحتلال الإسباني[2].

فإنهم ما إن شعروا ببداية انهيار الدولة الموحّدية، حتى أعلنوا استقلالهم عنها، متخذين من ثغور وسط الجزائر وغربها، مجالا جغرافيا لدولتهم، ومنذ تأسيسهم لها فإنهم عملوا على الرفع من شأنها، كذلك بإنشاء قوة عسكرية جهادية، كبناء الحصون لحمايتها من الاعتداءات الخارجية، التي قد تتعرض لها، وما إن استقر وضعها الداخلي، حتى سعت الدولة الزيّانية في منافسة الملوك الحفصيين على النفود والسّيطرة على منطقة المغرب الإسلامي، مما أدى إلى حدوث صراع مستمر بينهما.

أدّى هذا التنافس بين كل من الإمارتين الحفصية والمرينية، لوراثة الدولة الموحّدية، إلى دخول المغرب في صراع سياسي وعسكري ، وهذا ما جعل المغرب الإسلامي يدخل في حالة فوضى عارمة كصراع مستمر، أما عن علاقة الدولة المرينية بالدولة الزيّانية، فكان طابع العداء يغلب على العلاقة بينهما تخللتها فترات قصيرة جدا من السلم، وفي غالب الأحيان كان سلم مفروض على بني عبد الواد.

وما يميّز منطقة المغرب الأوسط (الجزائر )في هذه الفترة ، هو افتقارها لسلطة موحدة إضافة إلى معاناتها من الفوضى السياسيّة مشكّلة من مدن وقرى وبعض القبائل البربرية العربية، مثل (إمارة جبل

---

وتع: عبد الحميد حاجيات ، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، 1986م، ج1، ص204. و**ينظر أيضا**: محمد دراج : المرجع السابق، ص 87.

[1] – جون ب. و ولف : المرجع السابق ، ص 23.

[2] – الشافعي درويش : **علاقات الإيالة العثمانية في غرب المتوسط مع اسبانيا خلال القرن العاشر هجري/ السادس عشر ميلادي**، مذكرة شهادة الماجيستير في التاريخ الحديث، المركز الجامعي بغرداية، معهد العلوم الإنسانية والإجتماعية ، غرداية 2011/2010م ص 38.

كوكو ببلاد القبائل، الإمارة الحفصية[1] بقسنطينة، وإمارة الذواودة والزّاب، وإمارة بني جلاب بتقرت ووادي ريغ، وإمارة بني زناسن بالحدود المغربية، وإمارة الثّعالبة بجزائر مزغنة)[2]، تميزت بالانحطاط والتردي في جميع الميادين، سياسية واقتصادية واجتماعية[3]، ووصفت أغلب المصادر التاريخية، التي تعرضت لتاريخ المنطقة أواخر القرن 15م وبداية القرن 16م[4]، حيث أن هذه المنطقة ستصبح الإيالة التي تحكمها جماعة البحارة الأتراك وتتخذ من مدينة الجزائر عاصمة لها فيما بعد[5].

ما يلاحظ على الوضع العام لبلاد المغرب الاسلامي من الناحية السياسية ،والعسكرية ،و الاقتصادية سادها التفكك والانحطاط الّذي أضعف سلطة الممالك فالعائلة الحفصية الحاكمة في تونس، وبنو مرين في المغرب رغم الحكم، لكنهم لم يستطيعوا إخضاع القبائل التي كانت تتمتع بنسبة استقلال في إقطاعاتها، فعندما فوجئت الجزائر بالاحتلال الإسباني كانت مجزأة إلى عدة أجزاء، كل جزء تهيمن عليه قبيلة بربرية أو عربية، فضلا عن ذلك طرأت كارثة الأندلس بسقوط غرناطة[6]، والسيل الجارف من المهاجرين الأندلسيين الذين حذروا السكان وأطلعوهم على جرائم الإسبان، وأهدافهم الرامية إلى إخلاء المغرب من سكانه وتعميره بالمسيحيين[7].

---

[1]– **الإمارة الحفصية:** ( **1229–1273م** )، نسبة إلى الحفصيون ، ينتمون إلى قبيلة هنتتة إحدى فروع مصموده، ومؤسس الإمارة الحفصية هو أبو حفص عمر بن يحي الهنتاتي، ظهرت هذه الإمارة في الوقت الذي أخد نجم الموحدين في الأفول، فاستقلت بتونس، **ينظر:** يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص 176.

[2]– نفسه : ص7.

[3]- الشافعي درويش : المرجع السابق، ص 39.

[4] – محمد السعيد بوبكر : **العلاقات السياسية الجزائرية الإسبانية خلال القرن الثاني عشر هجري1119هـ/ الثامن عشر ميلادي1708م**، ط1، بيت الحكمة، الجزائر، 2015م، ص 36.

[5]– جون ب. و ولف : المرجع السابق ، ص 24.

[6] **– غرناطة:** تقع جنوب الشرقي من شبه الجزيرة الإيبيرية، ويقع فيها قصر الحمراء، وظهرت فيها مملكة إسلامية في القرن11م، وهي المملكة الإسلامية الوحيدة في اسبانيا، بعد سقوط مملكة قرطبة بيد المسيحيين سقطت سنة1492م. **ينظر:**
جميل عائشة: **الجزائر والباب العالي من خلال الأرشيف العثماني1520–1830م**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ، (إشراف: د. صحراوي عبد القادر)، جامعة جيلالي ليابس، سيدي بلعباس، 2017م، ص2.

[7]– عبد القادر فكاير: المرجع السابق، ص35.

**ثانيا: مظاهر الضعف الداخلية المساعدة على الغزو**

أفرز تفكك منطقة المغرب الاسلامي لإمارات متناثرة ومتناحرة فيما بينها، دون وجود كيان سياسي موحد انعكاسات خطيرة على جميع المجالات منها:

**1- غياب سلطة موحّدة**

يعبر عن هذه المظاهر حالة التفكك الداخلي والتطاحن فيما بينها، جعلها دول منهكة وغير قادرة على صد العدوان خاصة أنها لم تمتلك قوة عسكرية كبيرة، حيث كان أحد العوامل المشجعة على الغزو وهذا بعد تفاقم الانقسام السياسي وبلوغه مراحل متطورة نتج عنه تمتع القبائل و الأمراء وزعماء الطرق بالاستقلالية، وتشكيل العديد من المدن لشبه دول منها وهران التي كانت منفصلة عن تلمسان، وشرشال، وتنس والجزائر ودلس وبجاية وكان بعضها في شبه إمارات جبلية.

أما مملكة تلمسان شهدت صراع على السلطة، وذلك عن طريق تحرر كبار الأعيان من الوصاية وسعوا الى مكافحة السلطة القائمة، زيادة على ذلك الصراع على العرش من خلال خلع الابناء لآبائهم واغتصابهم للحكم.

وبخصوص المنطقة الوسطى من المغرب الأوسط الممتد بين مملكتي تونس وتلمسان، كانت مدنه في حالة استقلال، أما الونشريس التي كانت تقطنها القبائل كانت مستقلة عن مملكة تلمسان، ومنطقة القبائل عبارة عن قبائل متنافسة حيث السمة الواضحة في هذه المنطقة هي التمزق السياسي[1].

**2- الضعف العسكري والجوسسة**

ساد البلاد ضعف المستوى العسكري، حيث ساعد ذلك الإسبان في التفوق على المناطق وخضوعها لهم وتجدر بنا الاشارة هنا إلى أن الامارات والممالك لم تكن متطورة من ناحية الصناعة والتقنية الحربية، من ناحية بناء القلاع وكيفية حصارها وطرق الامداد بالمؤونة. وضعف التحصينات الداخلية كون المنطقة كانت مراقبة من طرف الاسبان من خلال جواسيسهم، خاصة مبعوث فرديناند فيرناندو دي ثافرا (fernando de zafra) كانوا يرسلون تقارير ويحددون مشاكل البلاد وتحديد نقاط القوة والضعف، وخاصة وضع القبائل التي كانت خارجة عن ملوك فاس وتلمسان وكان ذلك سنة 1494م[2].

[1]- عبد القادر فكاير: المرجع السابق ص44.

[2]- نفسه: ص ص 45- 46.

### 3- سوء الأحوال الاجتماعية

انعكس سوء الاحوال المعيشية بالسلب على المنطقة وكون المجتمع يعيش حالة ريفية بدائية لم تمكنه من الاكتفاء من ناحية الغداء، إضافة الى كثرة حالات التمرد والعصيان نتج عنه حالة عدم الاستقرار إضافة الى شيوع الخرافة في أوساط السكان مما سبب ضعف المقاومة، حيث حفزت القوى الأوروبية على مماسة العدوان على طول السواحل لمنطقة المغرب الاسلامي من طرابلس الغرب الى غاية مياه المحيط الأطلسي[1].

[1]- عبد القادر فكاير: المرجع السابق ص46.

## المبحث الثاني : التحرشات الإسبانية

كان لحالة الانقسام والضعف وبروز الصراع الداخلي في منطقة المغرب الاسلامي، جعلها تكون هدفا سهلا لدول ومماليك أوروبا، هذه الأخيرة سعت لغزوها والسيطرة عليها، ومن بين الدول التي طمحت إلى دالك المملكة الإسبانية، سارعت لاحتلال سواحلها مستغلة في ذلك الظروف التي كان يمر بها المغرب الإسلامي عموما، ولم يكن للاحتلال الإسباني بغالبه يحمل مضامين اقتصادية فقط بل كان طابعه الرئيسي هو الانتقام من المسلمين.

بعد زواج فيرديناند وإيزابيلا[1] مملكتين من الممالك الثلاثة( قشتالة واراغون أما البرتغال بقيت ملكة لوحدها) ظهرت إسبانيا موحّدة، بالرغم من ضم المملكتين إلا أن طبيعة التكوين السياسي والعسكري والنظرة العدوانية ساهم في رسم السياسة الخارجية الاستعمارية، حيث أرسل فرديناند الجاسوس **فيرناندو دي ثافرا** ( Fernando de zafra)، الذي كان مكلفا منذ سنة 1492م، بمراقبة حركة الأندلسيين المطرودين إلى إفريقيا[2] ليتعرف على ما يجري في الضفة الأخرى، فكان تقريره **كالتالي:** ( **أن كل البلاد في حالة يبدو أن الله أراد أن يمنحها لأصحاب الجلالة** [3]) .

وبتغيير سياسة الملوك الكاثوليك الذين كانوا نسبيا متسامحين نوعا ما مع المسلمين (الموريسكيين) بعد سقوط غرناطة خاصة من ناحية ممارسة الشعائر الدينية بالنّسبة للمسلمين، حيث منذ فاتح القرن 16م تغيرت سياسة التسامح وكان نتيجة الاضطهاد تهجير وإرسال الآلاف منهم الى سواحل المغرب الاسلامي ، أضافة إلى ذلك تم الشروع في تنفيذ وصيّة إيزابيلا بعد وفاتها سنة 1504م، التي نصت على احتلال منطقة شمال افريقيا، وهو ما تم فعلا حيث هاجمت عدّة مناطق في سواحل المغرب الاسلامي تمتد من مضيق جبل طارق إلى طرابلس.[4]

---

[1] **إليزابيلا:** هي ملكة قشتالة، ورثت العرش بعد أخيها هنري الرابع، حكمت مابين1474م، إلى 1504م، ولم يكن لزوجها سلطة على مملكتها، كانت ميولاتها مسيحية، لذلك سعت للحصول مع زوجها الملك فيرديناند الثاني على لقب ملوك الكاثوليك من البابا الاسكندر السادس، بعد التمكن من طرد المسلمين من غرناطة، **أنظر:** رحيمة بيشي : **المرجع السابق،** ص 18.

[2] – القادر فكاير: المرجع السابق، ص 45.

[3] – نقلا عن جون ب. و ولف : المرجع السابق ، ص 24.

[4] – نفسه: ص 22.

وباشرت باحتلال سواحل المغرب الأوسط معتبرة هذا التدخل امتدادا للحرب الصليبية ضد الإسلام والمسلمين التي بدأت في الأندلس، وهي تلك الحروب التي أطلق عليها الإسبان حروب الاسترداد(Reconquista)[1]، وقد كان لهذه الحرب الشرسة دوافع حرّكتها .

## أولا: دوافع الاحتلال الاسباني لسواحل الجزائر

### 1- الدوافع الدينية :

لا يمكن إنكار هذا الدافع لأن الدولة الإسبانية ذاتها قامت على أسس دينية، ونمت وترعرعت بين جدران الكنيسة، فالقساوسة والرهبان كان لهم الكلمة الأولى في التوجيه السياسي.[2]

وإن حماسة الاسبان خاصة بعد تمكنهم من القضاء على المسلمين في غرناطة، بل سعت الى ملاحقتهم والانتقام منهم، وهذا جعلهم يتوجهون إلى مهاجمة المسلمين في المغرب الإسلامي، وهو ما يفرض ضرورة السيطرة على سواحل شمال افريقيا، والذي يبين أكثر هو العامل الديني من دور في تحريك المشاعر في هذه الظروف[3]، أصدر البابا ألكسندر السادس مراسيم بابوية سنتي 1493م و1494م، بحث فيها على الحرب الصليبية ضد أفريقيا الاسلامية، ويبارك جهود، الملوك الكاثوليكية وطلب من جميع المسيحين في أوروبا دفع ضريبة الصليب[4]، وبذلك تبين الروح الصليبية من خلال الحملة التي قام بها الإسبان من أجل توحيد المسيحيين، كما أن وصية الملكة إيزابيلا كانت واضحة المعالم لولي عهدها، في ضرورة التعاون مع الكنيسة، كما أن ما فعله القادة الإسبان، الذين سيطرو على المدن الساحلية من إظهار للشعائر الدينية المسيحية، ومن المظاهر الواقعية للدافع الديني في توجيه

---

[1] - **حروب الاسترداد** (**Reconquête**) بالفرنسية؛ هي تلك الحروب التي قادتها أوروبا المسيحية، خاصة مسيحيو اسبانيا من أجل طرد المسلمين من المناطق التي تم فتحها في هذه القارة. وتم تأريخ أحداثها لدى عدد من الباحثين بحوالي ثمان مائة سنة. للاطلاع أكثر ينظر، محمد العروسي المطوي: **الحروب الصليبية في المشرق والمغرب**، دار الغرب الإسلامي، د ط، لبنان،1982، ص241.

[2] - محمد دراج : **الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس (1512-1543م)**، تص: ناصر الدين سعيدوني، شركة الأصالة للنشر، ط2، 2013، ص 123.

[3].حمد السعيد بوبكر : المرجع السابق، ص 49

[4] الشافعي درويش : **المرجع السابق**، ص 24.

السياسة اللإسبانية لغزو السواحل المغربية فعند احتلال المرسى الكبير ووهران حيت حولت المساجد إلى كنائس وحمل الصليب [1].

يقول فرناند بروديل في هذا الصدد : " **إن التعصب الديني، والرغبة الجامحة في محاولة تنصير المسلمين، وإرادة ابعاد حدود الاسلام، كل ذلك مجتمعا قدا حدا بالإسبانيين . أواخر القرن الخامس عشر وطوال القرن السادس عشر . إلى التدخل بالغزو في الشمال الإفريقي**[2]." ويقول أيضا : " **إن الحروب الإسبانية في إفريقيا أخدت صبغة الصليبية الحقيقية، وذلك نظرا للدور العظيم الذي قام بأدائه رجال الكنيسة والكهنوت، فالكنيسة بإسبانيا قد ساهمت بكل ما لديها من حماس في هذه المعركة** " .[3]

صمّم فيرديناند الكاثوليكي على تنفيد وصية زوجته إيزابيلا، في احتلال شمال إفريقيا، ونظرا لفراغ خزينة الدولة من المال، تولت الكنيسة هذه المهمة، وعلى رأسها الكاردينال اكزمينيس [4].[5]

إن الكاردينال اكزمينيس قد قدم من ماله الخاص في هذه الحملة الصليبية، التي قام بها في افريقيا من تجهيز العمارة الحربية، واستنجد كرم الكنائس في اسبانيا، وحسب قول المؤرخ بربروجر في

---

[1] –محمد السعيد بوبكر : **المرجع السابق**، ص 49.

[2]- F. Braudel**: lesespagnol en Algérie,in Histoire et historien de l'Algérie,Félix** Falcan, Paris,1930, p 231.

[3]- F. Braudel: **La Méditerranée et le Monde Méditerranéen à L'époque de philipe** 2, 5 éme édition, A.Colin, Tome2,1982, p 532.

[4] **أخسيمنس دي سيسنيروس** : (**Ximenes De Cisneros**) ولد في قشتالة سنة1436 م ، وتوفي في طليطلة سنة1517م ، في سنة 1492م أصبح مستشارا سياسيا للملكة إيزابيلا، وفي سنة 1505 م عيَّنه فرديناند مشرفا عاما على محاكم التفتيش، واشتهر بتعصّبه وتطرّفه الديني، فقد لعب دكرا بارزا في تنصير مسلمي الأندلس، كما أحرق في غرناطة وحدها 5000 كتاب، وتزعم عملية احتلال سواحل المغرب الإسلامي .للتعرف أكثر على هذه الشخصية **أنظر**:

(CH.J) Hefele: **le Cardinale Ximenes et L'èglise d'Espagne**, trad par M.L'abbè A.sisson et M.L'abbè A.crambon, 2éme ed, J.B.pèlagaud imprimeur-libraire, Paris1860.

**ينظر أيضا:** رحيمة بيشي : المرجع السابق، ص 26.

[5] –أسماء إبلالي: **التحرشات الإسبانية على السواحل الجزائرية خلال القرن10هـ–16م قراءة في الدوافع والنتائج**، مجلة روافد للبحوث والدراسات، جامعة غرداية، ع2، 2017م، ص 42.

كتابه عن صخرة الجزائر فإن" **الكاردينال اكزمينيس يستحق كل تقدير؛ من أجل تفكيره على الأقل في إنقاذ شمال إفريقيا من الوحشية الإسلامية؛ لكي تنتصر فيها المسيحية والحضارة** "[1] .

ولاشك أن فرناند بروديل وغيره بالغوا في اعتبار العوامل الدينية ذات أهمية كبرى في بدء الحروب الصليبية، بغض النظر عن أنها كانت تمثل روح ذلك العصر، لكن فإن هذا الواقع يوضح أن المصالح المادية سرعان ما لعبت الدور الأكبر لاعتبارات سياسية داخلية وخارجية[2].

## 2- الدوافع الاقتصادية :

إن انهيار النظامين الاجتماعي والاقتصادي الإسلاميين في بلاد إسبانيا، ثم تشتيت شمل المسلمين وإبعادهم عن البلاد، وضع إسبانيا أمام مشكل اقتصادي رهيب، وأصبحت التجارة الخارجية بين التصدير والاستيراد منعدمة، أمام هذا الحال، لم يبقى للإسبان من سبيل لكسب المعيشة سوى ذلك النوع من اللصوصية المسلحة التي تدعى الاستعمار، فاندفعوا في غزوات لانهاية لها[3].

أرادت إسبانيا إعادة أمجاد ممتلكات الإمبراطورية القديمة، خاصة بعد اكتشاف العالم الجديد، لذلك عملت على احتلال سواحل المغرب لما له أهمية في ايصال بحري آمن بين السواحل الإيطالية والاسبانية،[4] إذ أن حركيّة التبادلات التجارية التي كانت بين ملوك إسبانيا والدويلات الإيطالية في المتوسط خاصّة صقلية ، يستلزم حماية الطريق التجاري بينهما من القراصنة بحكم قربها للسواحل المغاربية إضافة إلى نشاط بحارة المغرب الإسلامي[5] ، ولا يكون ذلك إلا بالسيطرة على موانئ المدن المهمة في شمال إفريقيا مثل تلمسان ووهران، التي كانت مركز عبور تجاري يربط الساحل بإفريقيا، خاصة أن الاسبان اكتفوا بالساحل ولم يتوغلوا في الداخل إلا للتمويل بالمواد الغذائية[6]، وما شجع كذلك الإسبان على احتلال السواحل والموانئ ثراء المنطقة بالمواد الأولية التي اعتمدت عليها الصناعات

---

[1] – أحمد توفيق المدني: **حرب الثلاثمئة سنة بين الجزائر والإسبان1492هـ-1792م**، دار البصائر، ط3، الجزائر، 2009، ص ص 73-74.

[2] –جوليان شارل اندري : **تاريخ إفريقيا الشمالية**، تع: مربي، البشير بن سلامة، ،ط2 ،الدار التونسية للنشر، 1985م، ج2، ص322.

[3] –أحمد توفيق المدني: المرجع السابق، ص ص 78،79.

[4] –جوليان شارل اندري :المرجع السابق، ص322.

[5] – فكاير عبد القادر: المرجع السابق، ص32.

[6] –محمد السعيد بوبكر: المرجع السابق، ص 50.

الجديدة فيها لسد حاجتها من المواد الخام، فاندفعت إسبانيا تبحث عن هذه المواد فوجدت في بلدان المغرب الإسلامي غايتها.[1]

وبعد سيطرة اسبانيا على مناطق الذهب في القارة الامريكية المكتشفة حديثا، شرعت تبحث لنفسها عن أسواق جديدة لترويج منتجاتها، كما دفعت التغيرات السياسية والاقتصادية التي حدثت في أوروبا إلى البحث عن موارد مالية لتمويل حروبها فيها، كما أن اكتشاف القارة الأمريكية جعل اسبانيا في حاجة إلى موانئ ساحلية لحماية أساطيلها المثقلة بالبضائع من غارات البحارة، الذين جعلوا من موانئ الشمال الافريقي قواعد انطلاق، لذلك كان احتلال هذه السواحل يعتبر ضرورة اقتصادية لتأمين تجارتها في البحر المتوسط[2].

كانت اسبانيا ترغب في السيطرة على الطرق التجارية في افريقيا التي اشتهرت بتصدير السلع إلى أوروبا، كالتبر، ريش النعام، والجلود ..... وغيرها، كما سعن إلى السيطرة على المراكز التجارية، والمناطق التي تتميز بغنى إقليمها بالثروات الحيوانية والمحاصيل الزراعية كعنابة ووهران واحتكار التجارة الخارجية للمنطقة[3].

## 3- الدافع السياسي والعسكري:

لقد كانت لإسبانيا طموحات توسعية، وتشكيل إمبراطورية تهيمن على أوروبا، وكذلك على العالم الجديد، ومن أجل تحقيق هذا المسعى وجهت إسبانيا أنظارها إلى الشواطئ الجنوبية للبحر المتوسط، لكي تستكمل دائرة توسعها[4]. فهذا المد الاستعماري الجشع كان من جملة الأسباب التي ألقت بهم في سواحل المغرب الأوسط، وساعدهم في ذلك حالة تفكك والانحلال التي أصبحت عليها بلاد المغرب الاسلامي التي علموا بها عن طريق جواسيسهم المرسلة،[5].

---

[1] -زبارة سامية : **الجهاد البحري في الجزائر العثمانية (1520_1827)**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي الحديث، جامعة ابن خلدون ،تيارت،2014م، ص10.

[2] -محمد دراج : المرجع السابق، ص ص،132،131.

[3] الشافعي درويش: المرجع السابق، ص 25.

[4] -عبد القادر فكاير: المرجع السابق، ص 34.

[5] -أحمد توفيق المدني: المرجع السابق، ص ص77،78.

ومن ناحية أخرى كان لأثر نجدة المرينيين والحفصيين لإخوانهم في الأندلس ولجوء الأخيرين إلى بلاد المغرب الإسلامي بعد سقوط غرناطة مستنجدين بإخوانهم هنا، لذا رأوا ضرورة تتبع المسلمين إلى مكان فرارهم(شمال إفريقيا)، مدّعين بأن الأساطيل الإسلامية كانت تغزو السواحل الأوروبية وتنهبها، وهذا خوفا من أن يعيد المسلمون الكرّة عليهم ويسترجعوا الأندلس، وهو تكتيك حربي لإفشال خطة العدو[1].

كما كان لإقامة الحصون والأبراج العسكرية في شواطئ الجزائر، سببا مباشرا لتحريك مشروع الغزو، فهذا العمل قد يحول دون الاتصال بين الجزائريين ومسلمي الأندلس، حتى لا يتحصل هؤلاء على أية مساعدة من إخوانهم مسلمي الجزائر، وسعت إسبانيا إلى تأمين خطوط مواصلاتهم الهامة بين إسبانيا وإيطاليا، و اتخاذ من القواعد الأمامية منطلقا لغزو المناطق الداخلية[2].

كما أن احتلال السواحل الإسلامية في شمال إفريقيا من شأنه أن يساهم في ترسيخ زعامة إسبانيا السياسية للعالم المسيحي، التي ما فتئت إسبانيا تفتقر إليها منذ أن بدأت الوحدة الدينية تتعرض للاهتزاز بسبب ظهور حركة الإصلاح[3].

إضافة إلى ذلك ضعف مستواهم العسكري، بالمقارنة مع الإسبان، فعلى ما يبدو أن المغاربة لم يعرفوا التطور التقني وفن القتال، حيت ظلت الطرق التقليدية هي السائدة، والمتمثلة في التلاحم رجل لرجل، واستعمال الخنجر والسيف والأسهم، كما أنهم لم يعرفوا بناء القلاع وكيفية محاصرتها،[4]ويضاف إلى هذا الوضع عنف الهجمات الإسبانية والمعاملة القاسية،للسكان المحتلين فقد أحدث ضجة على طول الساحل ، فأسرع المدن التي لم بتم قصفها إلى الدخول تحت طاعة الإسبان، لأن هدف السياسة الإسبانية هو وقف نشاط البحارة القراصنة[5].

---

[1]- أسماء إبلالي: المرجع السابق، ص 39 .

[2]-عبد الحميد ابن ابي زيان بن اشنهو: **دخول الأتراك العثمانيون إلى الجزائر**، الطباعة الشعبية للجيش، د ط، الجزائر، 1982م، ص 45.

[3]-محمد دراج: المرجع السابق، ص 134.

[4] -عبد القادر فكاير: المرجع السابق، ص ص 45- 46.

[5] الشافعي درويش: المرجع السابق، ص 26.

وهذه العوامل شجعت الملك الإسباني فيرديناند، إلى توجيه حملات عسكرية منظمة بدافع السيطرة والانتقام، فقد تمكن الاسبان خلال الفترة(1505_1535)، من احتلال مواقع ومدن عديدة بالساحل الجزائري .

فسياسة إسبانيا اتجاه بلاد المغرب الإسلامي لم تكن لها خطة استعمارية محكمة، لأن حكومتها كانت قد خططن لوضع سلسلة من الحاميات على الساحل دون التوغل في الداخل ، فإحتلال الإسباني ظل مرتبط بتحصين القلاع التي يسيطر عليها ، مثل : المرسى الكبير ، حلق الوادي، طرابلس[1].

**ثانيا: نتائج الاحتلال الاسباني**

## 1- احتلال المرسى الكبير [2]ووهران[3] : (1505م / 1509)

نظرا لأهمية الميناء الاقتصادية، وكذا قربه من وهران واسبانيا، جعلت المخططات الاسبانية هذا الميناء هدفها الاول، وهكذا وصل الأسطول الإسباني إلى ميناء المرسى الكبير في**11سبتمبر1505م**، بعد أن تأخر بعض الشيء نتيجة لاعتراض رياح معاكسة له، وكان هذا التأخر في صالح القوات الإسبانية، لأنه بعد أن طال انتظارها رجع أكثرية القوات الرسمية والشعبية المدافعة عن الميناء، ظننا منهم أن الإسبان تراجعوا عن مهاجمة الميناء، وتركوا حامية قليلة، لا يزيد أفرادها عن 500رجل، وعند وصول الاسطول الإسباني، اشتبك مع حامية المرسى، انتهت باحتلال قلعة المدينة والتحصن بها، وبعد خمسين50 يوماً من المقاومة العنيفة، قرر أعيان المدينة الاستسلام ، مقابل اتفاقية تضمن لهم الحياه وحرية الانسحاب من دون أذى[4]، سعى الكردينال اكزيمينيس، إلى تعزيز قواته في المرسى الكبير،

---

[1] الشافعي درويش: المرجع السابق، ص 25.

2 **المرسى الكبير**: مدينة صغيرة أسسها في عصرنا ملوك تلمسان، ومعناه الميناء الكبير، ميناء يقع غرب مدينة وهران ببضعة أميال، تعرض لاحتلال البرتغاليين سنة1415م،وطرد وأعادوا احتلاله في1471م، وخرجوا منه سنة1477م، **ينظر**: الحسن بن محمد الوزان الفاسي: **وصف افريقيا**، ج2، تر: محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط1،بيروت، 1983م، ص 31. **وينظر أيضا**، محمد السعيد بوبكر: المرجع السابق،ص33.

[3] **وهران**: مدينة ساحلية ، وهي عاصمة الغرب الجزائري احتلها الاسبان منذ أوائل القرن السادس عشر. وأصبحت مركز للإيالة الغربية في عهد الباي مصطفى بوشلاغم بعد تحريرها 1708م، عاد الاسبان إليها في 1732م، ثم فتحها الباي محمد عثمان بعد عقد اتفاقية الانسحاب مع الاسبان 1792م، **ينظر**: محمد السعيد بوبكر : المرجع السابق، ص 33.

[4] محمد دراج: المرجع السابق: ص ص 106-107.

وبذلك شرع في التحضير لحملته العسكرية بمساعدة القائد العسكري بيدرو دي نافارو[1]، وذلك بتعيينه قائدا للحملة، وانطلقت الحملة باتجاه وهران يوم **16ماي 1509م** ، بقوات بلغت 1500 مقاتل، وصلت الحملة إلى الميناء في اليوم الموالي[2]، فخرج أهالي مدينة وهران للقاء العدو خارج أسوار المدينة، وكان من أسباب الهزيمة قلة العدد والعدّة أمام الإسبان[3].

وأمام المقاومة الشديدة للأهالي لجأ الإسبان للاتصال بأحد اليهود ، اسمه سطوره[4] والذي بدوره اشترى الخائنين عيسى العربي وابن قانص[5]، الّذين فتحا أبواب مدينة وهران للإسبان . وأفلتت الأمور من بين أيدي المسلمين، و ارتكب الإسبان أبشع الجرائم من قتل وأسر، وبعد اعتراف حمو الثالث الزياني بالهزيمة وتبعيته وولائه للإسبان، وقبوله بدفع جزية سنوية قدرها 12 ألف دوقة، تم إعلان سقوط مدينة وهران **1509م**[6].

بعد تمكن الإسبان من السيطرة على وهران، قاموا بشن غارات على القبائل المحيطة بالمدينة، وتمكنوا من إخضاعها، وأدى سقوط وهران أيضا إلى إعلان الملك الزيّاني أبا حمو موسى الثالث[7] التبعية

---

[1]- **بيدرودي نفارو**: ولد بيترودي نافورو أو الكونت بيدرودي نافارو Pedro Navarro قرب سنة 1460، لم يكن نبيل المولد شريف الأصل، وإنما انحدر من عائلة فقيرة، فقد ولد في بسكى واشتغل في أول حياته عاملا في المناجم، وحارب بين سنة 1499و1510 م في جيش دون كونسالفو دي قردوفة في الجزائر واليونان وإيطاليا الجنوبية، وقد برز في كثير من المجالات بشجاعته وحنكته العسكرية، خاصة كمهندس عسكري أثناء إعادة احتلال مملكة نابولي. وقد منح في سنة 1504 إقطاع مدينة (أوليفيتوOliveto) بمقاطعة Abruzzo كما منح أيضا لقب (كونت) .وفي سنة 1509 أسندت إليه قيادة الحملة على وهران **ينظر**: إيتوري روسي: **ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911م**، تر خليفة محمد التليسي، الدار العربية للكتاب، الإسكندرية، 1974، ص ص 168-169، **وينظر أيضا**: محمد عمر الباروني: **الاسبان وفرسان القديس يوحنا** ،د س، ص 33.

[2]- يحي بوعزيز : المرجع السابق، ص 8.

[3] -أحمد توفيق المدني : المرجع السابق، ص 100.

[4] **سطوره**: أو اليهودي ستورا، كان من مهاجري الأندلس، ومن الذين أنقدتهم عدالة الإسلام في وهران، من المحارق الإسبانية، استخدمه حاكم وهران قابض للمكوس فخان المسلمين، بفتح أبواب وهران أمام الغزاة الإسبان، الذين كافؤوه بعد ذلك بتعيينه لجباية الضرائب البرية والبحرية. **ينظر** : أسماء ابلالي : المرجع السابق، ص44. **وأيضا أنظر**: محمد دراج: المرجع السابق، ص111.

[5] -عمار بوحوش : **التاريخ السياسي للجزائر من بداية ولغاية 1962**، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1997م، ص47.

[6] -أحمد توفيق المدني : المرجع السابق، ص111.

[7]**أبا حمو موسى الثالث**: أمير من أمراء الدولة الزيانية، تحالف مع الاسبان ضد العثمانيين، الذين تمكنوا من إعادته للحكمة بواسطة أحد اليهود سنة 1518م، **ينظر**: محمد السعيد بوبكر: المرجع السابق، ص43.

لهم وامتدّ بعد ذلك على سائر الغرب الجزائري كدلس ومستغانم وشرشال، ومن جهة أخرى أن الاسبان أدركوا الأهمية الاستراتيجية لمدينة وهران فسعوا إلى تحصينها تحصينا محكما مكنها من الثبات أمام جميع محاولات تحريرها[1] .

## 2- احتلال بجاية وعنابة ( 1510م-1535م) :

بعد أن استيلائهم على وهران والمرسى الكبير ، وجهوا أنظارهم إلى الناحية الشرقية فاحتلّت بجاية العاصمة الثانية للحفصيين في 5 جانفي 1510م[2]،التي كانت تابعة لإمارة قسنطينة، وشرعوا بتجهيز حملة بقيادة بيدرو دي نافارو[3]، إذ انطلق الأسطول في 30 نوفمبر 1509م، متكون من 20 سفينة كبيرة تحمل على متنها 10آلاف جندي، تعززهم مدفعية ضخمة. ووصل الأسطول إلى مدينة بجاية يوم 5جانفي 1510م، وقد أبدى سكان المدينة دفاعا مستميتا فكان رد الإسبان قويا، حيث ارتكبوا مجزرة قتل فيها 4 آلاف شخص، ونهبو المدينة التي هاجرها سكانها وأصبحت خالية لا يقطنها إلا رجال الحامية الإسبانية[4].

وبعدها توجه الاسبان إلى مدينة عنابة في أوت 1535م،وتمت مواجهة المدينة بقيادة الماركيز دي موندیخار،[5] التي كانت تابعة إسميا لسلطان بني حفص بتونس ، والتي اعترف سلطانها أبو الحسن الحفصي بالتنازل عنها للإسبان، بناء على ما نصت عليه المعاهدة التي عقدت بين الملك الحفصي وشارلكان[6].[1]

---

[1] -محمد دراج : المرجع السابق، ص، ص 114،115.

[2] -يحي بوعزيز : المرجع السابق، ص 8.

[3] **بيدرو نافارو:** ولد بمدينة بسكاي ، جلبه فيرديناند ورقاه إلى رتبة النبلاء واستعمله لاحتلال الشواطئ الغربية ، انتقل إلى خدمة الملك الفرنسي فرنسوا الأول منذ سنة1515م، قائد عسكري إسباني قاد الحملة مع الكاردينال خمينيس، على المرسى الكبير سنة1505م، وعلى وهران1509م، **ينظر:** مولود قاسم نايت بلقاسم: **شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830م**، ط1، شركة دار الأمة للطباعة والنشروالتويع،ج1، الجزائر 2013م، ص ص، 126،128. **و ينظر أيضا:** جميل عائشة: **الجزائر والباب العالي من خلال الأرشيف العثماني1520-1830م**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ، (إشراف: د. صحراوي عبد القادر)، جامعة جيلالي ليابس، سيدي بلعباس، 2017م، ص 8.

[4] -توفيق المدني : المرجع السابق، ص، ص، 123،124.

[5] -مجهول : **غزوات عروج وخير الدين**، تع : نورالدين عبد القادر، دار المكتبة الأدبية، الجزائر، 1934م، ص239.

[6] **شرلكان** : (**1500-1558م**) أمير بورغني، عين امبراطورا للرومانية المقدسة، أصبح باسم إمبراطورتيه العظمى يقف وجها لوجه أمام فرنسا والإمبراطورية العثمانية، **ينظر:** أسماء ابلالي : المرجع السابق، ص54.

وبعد مقاومة دامت 3 أيام، انسحب أهلها منها، فترك الإسبان حامية عسكرية تتولى حراستها[2]، لم يمكث الإسبان بعنابة إلا خمس سنوات، حيث تمكن خير الدين من محاصرتهم، وأجبرهم على الانسحاب سنة 1540م[3].

وواصل الإسبان غزوهم للسواحل الجزائر فحاولوا احتلال شرشال في سنة1531م لكنهم فشلوا و خضعت مستغانم وفرض عليها الولاء سنة 1511م وغيرها من المدن الساحلية دون تحرك سلاطين بني زيان ساكنا لوقف هذا الخطر، مما يدل على الضعف الذي وصلوا له.

### 3- خضوع مدينة الجزائر :

كانت مدينة الجزائر تحت حكم الشيخ سالم التومي[4]، الذي سرعان ما أعلن ولاءه وخضوعه للإسبان نتيجة الغارات الإسبانية على سواحل بلاد المغرب، و التي انتهت باحتلال المرسى الكبير ووهران وبجاية في فترة وجيزة، حيث يذكر هايدو Haedo أن الجزائر اضطرت للخضوع إلى الإسبان خاصة بعد سقوط بجاية[5].

وبذلك شكل أعيان مدينة بني مزغنة وفد برئاسة سالم التومي، وتوجهوا إلى مدينة بجاية لعقد هدنة مع المفوض العسكري بيدرو نافارو، يوم 31جانفي 1510م، وفي السنة الموالية سار نفس الوفد إلى إسبانيا لمقابلة الملك فيرديناند، وتقديم الولاء له، وعقد اتفاقية بين الطرفين تضمنت بنودها:

- أن تبقى المعاهدة سارية لمدة عشر سنوات.
- دفع ضريبة سنوية.
- كما عقد سلام بين مدينة الجزائر والإسبان.

---

[1]- محمد دراج: المرجع السابق، ص301.

[2]- أحمد توفيق المدني : المرجع السابق، ص141.

[3]- عبد القادر فكاير : المرجع السابق، ص220.

[4]**سالم التومي**: حكم مدينة الجزائر سنة 1510م ينتمي إلى قبيلة الثعالبة فرع بني تومي، استولى على الحكم بالجزائر عندما احتل الإسبان بجاية عام1510م، عقد سليم التومي بصفته شيخ مجلس المدينة مع القائد الإسباني بيدرو نافارو معاهدة استسلام ، **ينظر**: الحسن بن محمد الوزان الفاسي: المرجع السابق، ص39. وينظر أيضا: كورين شوفاليه: **ثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر 1510/1541م**، تر: جمال حمادنة ، ديوان المطبوعات الجامعي ، (د .ط)، 2007م. ص30.

[5] - Haedo Fray de Diego:**Histoire des rois d'Alger** ,trad et annotée par H. grammont, ALGER, 1881, p9.

بناء الإسبان حصن البنيون[1] الدي يبعد عن مدينة الجزائر ب300متر فقط، والذي بني على أنقاض منارة بناها الأندلسيون نهاية القرن 15م، وأصبحت تدعى صخرة البنيون، وذلك لبسط نفودهم في البحر المتوسط، وجعلت مدينه الجزائر تحت وطأة المدافع الإسبانية، بغيت التضييق عليها وتفتيش الصادرات والواردات من ميناءها وقطع الصلات بين الجزائريين[2].

وبذلك عمل فيرديناند الكاثوليكي في استراتيجيته لاحتلال سواحل المغرب الاوسط على إقامة مراكز محصنة في أهم الموانئ مع نصب مدافع لمراقبة كل التحركات لوضع حد لنشاط الأساطيل المغربية التي كانت تغير على السواحل، ونظرا لعدم قيام آل زيان بهجوم مضاد احتل الجنويين ميناء جيجل سنة1513م، وبهذا وجد سكان الشواطئ الجزائرية أنفسهم بين مطرقة الإسبان وسندان الجنويين[3].

وبهذا تقوى دور الإسبان في أواخر القرن الخامس عشر ومطلع القرن السادس عشر، في السطو والاعتداء على سواحل المغرب الأوسط وتونس والمغرب[4]، وفي نفس الوقت الذي بدأ فيه الإسبان في إنشاء المراكز على سواحل شمال إفريقيا، ظهرت جماعة من المغامرين في منطقة غرب البحر المتوسط، فقادو معارك طاحنة، ضد الإسبان وانتصروا عليهم[5]، مما أدى إلى تغيير في الأوضاع وأعاد النظر في موازين القوى التي كانت لحد تلك اللحظة لصالح الإسبان، فشهد المغرب الإسلامي ظهور تطورات تمخضت عن ميلاد الدولة الجزائرية[6] .

وفي الأخير نستنتج أن التواجد الاسباني بالسواحل الجزائرية ارتبط بمشروع مخطط استعماري .

---

[1] –هو حصن الصخرة العالية المعبر عنه باللغة الإسبانية **pennon** ، وهو برج صغير يستعمل كفنار أو برج مراقبة للسفن، ثم حوله الإسبان إلى قلعة حصينة عام 1510م، **ينظر**: مجهول: **سيرة المجاهد خير الدين بربروس في الجزائر**، تح ، تق، تع،عبدالله حمادي، دار القصبة للنشر، الجزائر 2009، ص 82.

[2] –جميل عائشة: المرجع السابق، ص 11.

[3] –اسماء ابلالي : المرجع السابق، ص ص 46،47.

[4] –جميل عائشة : المرجع السابق، ص 12.

[5] – جون ب وولف: المرجع الساق، ص 27.

[6] – جميل عائشة: المرجع السابق، ص 12.

## المبحث الثالث : انضمام الجزائر للدولة العثمانية

### أولا: جهود الإخوة بربروس:

بعد أن اصبح المغرب الأوسط ممزق وضعيف نتيجة الحروب الطويلة الأمد، وبسبب ضف المقاومة المحلية ، وغياب السلطة الزيانية التي انحصرت في عاصمة تلمسان، التي أعلن حكامها بدورهم التبعية لإسبان، كان ضروريا من ظهور قوة جديدة تقود عمليات النحرر ضد الإسبان[1]، إذ لم يكن في مقدورهم القيام في وجه الصليبية ، لذلك استنجد بالأتراك، بعد أن لفت عروج[2] انظار سكان السواحل الجزائرية بقوة أسطوله، إذ انتقل نشاط عروج وإخويه في أوائل القرن السادس عشر ميلادي من الحوض الشرقي للمتوسط إلى الحوض الغربي منه، واستقر بتونس سنة1504م، وبعد أن داع صيت الإخوة بربروس في مختلف المناطق شرقا وغربا ، بفضل إنقادهم لمسلمي الأندلس الفارين من اسبانيا إستنجد بيهم سكان السواحل الجزائرية ، يحيث استنجد به حاكم بجاية وأعيانه عام 1512م، إذ كانت تعتبر أول تعاون بين الجزائريين والعثمانيين، لكن فشلو في تحريرها وانسحبو إلى تونس بعد أن بترث دراعه،ثم إنتقل من تونس إلى جيجل بعد أن حررها من الجنويين، وحصل على غنائم كبيرة أرسلها إلى السلطان سليم الأول [3].

أما بالنسبة لمدينة الجزائر كان الأهالي يعيشون تحت المراقبة الإسبانية حتى 1510م ، وبموت الملك الإسباني فيرديناند نقض الأهالي المعاهدة التي تّم توقيعها مع الإسب ان ونتيجة لهذه الظروف ، طلب الشيخ سالم التومي، مساعدة الأخوين عروج وخير الدين[4] في التخلص من الإسبان، قبل الإخوة

---

[1] الشافعي درويش: المرجع السابق، ص45.

[2] **عروج**: أو أوروج أصلها عربية وهي لفظ معناه الإرتفاع والصعود، وهو مأخود من حادثة الأسراء والمعراج، التي يرجح أنه ولد ليلتها، فالترك ينطقونه أوروج والعرب ينطقونها عروج. **ينظر**: أحمد توفيق المدني: المرجع السابق، ص 145.

[3] الشافعي درويش: المرجع السابق، ص 46.

[4] **خير الدين**: كان أباه يعقوب من فرسان الصبايحية ، وله ثلاثة إخوة ، اسحاق وعروج والياس، ولد في جزيرة مدللي، إحدى جزر اليونان حوالي سنة1483م، وتوفي سنة1546م، وهو أول بيلرباي على الجزائر خلال العهد العثماني، **ينظر**: مجهول: **سيرة المجاهد خير الدين بربروس في الجزائر**، المصدر السابق، ص ص 05-21.

بربروس[1] بهذا الطلب ورأى عروج فيه فرصة للاستيلاء على مدينة الجزائر الهامة والغنية والتي ستكون مناسبة لعملية القرصنة [2].

وعمل الإخوة على التوسع داخل البلاد، فالسلطان الزيّاني أبو محمد الزيّاني الذي كان قد أعلن تبعيته للإسبان خصوصا بعد إحتلالهم تونس 1535م، جعلته هزيمة شارلكان يعيد النظر في سياسته ويعلن تبعيته للأتراك، وتوالت انتصارات الأخوين في شمال افريقيا بعد 1541م، فتم القضاء على دولة بني زيان سنة1555م، وضمّت تلمسان إلى الدولة العثمانية بشكل نهائي، وأجبر الإسبان على الانسحاب من طرابلس الغرب سنة1552م، وميناء تونس سنة1553م،وبجاية 1555م، وحوصروا في وهران مرارا بعد 1556م، حيث زادت هيبة العثمانيين في نفوس الأوروبيين[3].

حظي الإخوة بربروسة بمكانه واحترام كبيرين لدى العلماء، وكان الإخوة يستشيرون العلماء في كل صغيرة وكبيرة خاصة في الاحكام الشرعية واستصدار الفتوى منهم، بل أكثر من ذلك كانوا يقومون بإشراكهم في الكثير من القضايا السياسية والدّينية، فكان ذلك سببا في توثيق الصلة بين العثمانيين والأهالي وتمّ هذا بوساطة هؤلاء العلماء ، وإعطاء الصبغة الشرعيّة والدّينية للوجود العثماني بالجزائر[4] .

فبعد الانتصارات التي حققها خير الدين استرجعت الجزائر كل المراكز الساحلية التي كانت بيد الإسبان، فكان استرجاع مدينة جيجل سنة1514م، بداية لنهاية الوجود الإسباني في المغرب الأوسط، وهو ما تحقق بعد استرجاع مدينة وهران والمرسى الكبير عام 1792م، لتنتهي الحرب الصليبية التي دامت حوالي ثلاثمائة سنة ما بين الإسبان والجزائريين (1492_1792م)، وتم توسيع رقعة البلاد الجزائرية إلى أن وصلت حدودها الصحراء (ورقلة وتقرت)، على عهد البيلرباي صالح رايس، فاكتسبت الجزائر بذلك مكانة خاصة وهيبة بين الدول آنذاك حتى أصبحت تعرف ب 'دار الجهاد' و'قلعة الإسلام '، الصامدة في وجه القوة المسيحية حسب وصف كتاب ذلك العصر[5] ، و اكتمل فيها كيان

---

[1] **بربروس**: كلمة فرنسية، أطلقها الأروبيون على عروج وخير الدين، لأن لحية عروج كانت حمراء مائلة إلى الصفرة، وفيما بعد عرف خيرالدين أخوه باسم بربروسا، وكان أصدقاء عروج ينادونه بابا عروج احتراما له، **ينظر**: مجهول : غزوات عروج وخير الدين، المصدر السابق، ص 10.

[2]- فكاير عبد القادر: المرجع السابق، ص ص 139-140.

[3] محمد دراج : المرجع السابق ، ص 327.

[4] محمد دراج : المرجع السابق، ص 380.

[5] أسماء ابلالي : المرجع السابق، ص 65.

الشعب الجزائري، وعرفت فيها البلاد الجزائرية مقومات الدولة الحديثة، بعد أن ظلّت الهوية الجزائرية مجهولة [1].

**ثانيا: قيام السلطة الجديدة**

جاء في بعض الروايات التاريخية أن اتصال الجزائر بالدولة العثمانية يعود إلى سنة 1514م، عندما دخل عروج وخير الدين إلى مدينة جيجل[2]. وقد سارع الإخوان إلى ارسال بعض الهدايا للسلطان سليم الأول[3]، وكان رد فعل السلطان على ذلك بإرسال إليهما 14سفينه حربية مجهزة بالعتاد والجنود، وحضي الإخوان بدعم سكان المنطقة[4].

إنّ اتصال أهالي مدينة الجزائر بالسلطان سليم جاء وفق رسالة مؤرخة في 26 أكتوبر1519م،الموافق ل925هـ، وقد حملها وفد باسم قضاة وفقهاء وأئمة، وتجار و أعيان جميع سكان مدينة الجزائر[5]، ويعود هذا الأمر منذ أن استشهد عروج استعصت الأمور على أخيه خير الدين لما رآه من كثرة المتآمرين عليه وتمرد بعض السكان[6]، خطر الإسبان من جهة وأطماع الحفصيين من الشرق، وتمرد مدن شرشال، وتنس، وبلاد القبائل بقيادة احمد بن القاضي، إضافة إلى نقص الموؤنة والجند، وعلى هذه الظروف الصعبة[7]، قرر مغادرة البلاد والالتحاق بالخلافة العثمانية في استانبول، إلا أن مجلس أعيان مدينه الجزائر ألحوا عليه بالبقاء بينهم، فرد عليهم،

---

[1] جميل عائشة : المرجع السابق، ص 22.

[2]- عبد القادر فكاير : المرجع السابق، ص89.

[3] **سليم الأول**: سلطان عثماني، ولد في أكتوبر 1470م، ابن السلطان بايزيد الثاني الذي لتنازل له على العرش سنة1512م، اضطهد الشيعة وهزم الشاه إسماعيل الأول الصفوي في موقعة جالدران1514م، وفتح سوريا 1516م، ومصر1517م، تربع على عرش الخلافة، فكان أول الخلفاء العثمانيين، تميز عهده بالفتوحات التي تحولت في أيامه من الغرب الأوروبي إلى الشرق ، **ينظر**: منير البعلبكي: **معجم أعلام المورد وموسوعة التراجم لأشهر أعلام العرب والأجانب القدامى والمحدثين، مستقاة من موسوعة المورد**، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1992م، ص 241. **وينظر أيضا**: محمد فريد بك المحامي: **تاريخ الدولة العلية العثمانية**، تح: إحسان حقي، دار النفائس،ط1، بيروت1971.

[4] عبد القادر فكاير : المرجع السابق، ص ص89، 90.

[5]- عبد القادر فكاير : المرجع السابق، ص 90.

[6] محمد بن رقية التلمساني: **الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة**، مخ ،م،و،ج ،ض، تع: خير الدين سعيدي الجزائري، الجزائر ، أوراق ثقافية للنشر والوزيع،ط1 ،2017، ص107 .

[7] الشافعي درويش : المرجع السابق ، ص 47.

وقال لهم ( **إني قد عزمت على سفر إلى حضرة السلطان و أمنت بلادكم من العدو بما تركت فيكم من مجاهدين ومن وصل إليكم من أهل الأندلس وما تركت عندكم من العدة لأني تركت في بلادكم أكثر من أربعمائة مدفع ، ولم يكن في بلادكم إلا واحد**)، فقالوا كلّهم له ( **يا أيّها الأمير لا تطيب لنا أنفسنا بفراقك ولا نسمح بذلك، فالله الله في أمّة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فإن الله يسألك يوم القيامة عنهم**)، ومن جملة ما خاطبه العلماء به أن قالوا له (**أيّها الأمير يتعيّن جلوسك في هذه المدينة لأجل حراستها والذّب عن ضعفاء أهلها، ولا رخصة لك في الذّهاب عنهم وتركهم عرضة للعدو**) فعند ذلك قال لهم خير الدّين " **أنتم رأيتم ما وقع من الملاعين الكافرين ولا يؤمن من عواملهم وقد ظهر لي من الرأي أن تصل يدنا بطاعة السّلطان الأعظم، مولنا السّلطان سليم فيمدّنا بالمال والرّجال وما نحتاج إليه من آلة الجهاد، ولا يكون ذلك إلّا بصرف الخطبة إليه و ضرب السّكة عليه**"[1].

بناء على ذلك كتب سكان أهل المدينة رسالة إلى السلطان العثماني، يخبرونه بصرف طاعتهم إليه خضوعهم وولائهم وتعيين خير الدين حاكما على الجزائر [2].وعلى إثر شيوع أخبار الغزوات التي يقوم بها الإخوة والبحارة الأتراك المرافقين لهم في غرب البحر المتوسط، التي بلغت عاصمة الدولة العثمانية استانبول، وأثارت في نفس القت الهلع في أوساط الممالك الأوروبية، والمتتبع للأحداث يرى تجاوبا وتعاطفا كبيرا من قبل البلاط العثماني للعمل الكبير الّذي يقوم به الإخوة في سواحل المغرب الإسلامي في صد العدوان الصليبي ويمكن تفسيره من ناحيتين:

- التعاطف كون البحارة أتراك
- العامل الأهم يتمثل في رابطة الدين وجهاد الصليبيين وحماية أرض الإسلام

ومن جهة ثانية فإن خير الدين لما فقد أخوه عروج، إضافة إلى زيادة الحملات ومحدودية الوسائل الحربية كونها في أغلب الأحيان إمكانيات ذاتية فهي غير قادرة على مجابهة الجيوش الصليبية المنظمة عددا وعدّة، ولا بدّ من بذل جهود مضاعفة كذلك في قضيّة تخليص مسلمي الاندلس ونقلهم لسواحل المغرب الإسلامي، واستكمال تحرير المدن يحتاج كذلك إلى دعم بقوة الدولة العثمانية، خاصة

[1]- محمد بن رقية التلمساني: المرجع السابق، ص107.

[2]- عبد القادر فكاير : المرجع السابق، ص90.

بعد التأكد من تخاذل السلطان الحفصي في دعم الإخوة بالمعدات الحربية. وهكذا فإنهما انتهزا أول فرصة أتيحت لهما لكي يقوما بإرسال وفد من الأهالي مع شخصية هامة إلى السلطان العثماني ممثلة في شخص بيري رئيس ابن اخت كمال رئيس، الذي كلفه السلطان بايزيد الثاني بالإغارة على سواحل إسبانيا حينما استغاث به مسلمو غرناطة[1].

وهكذا أدّى هذا الاتصال إلى اعتبار الجزائر أول إقليم في شمال إفريقيا يدخل ضمن لواء الخلافة العثمانية، استجابة لطلب لسكان مدينة الجزائر، وليس ناتجا عن غزو أو فتح، وقُدّم لها الدعم العثماني بالجنود والسلاح، وأصبحت على إثر ذلك إيالة عثمانية واتخذت مدينة الجزائر عاصمة لها.

وبهذا يمكن القول أن بعد ارتباط الجزائر بالدولة العثمانية سيبدأ التعاون الجزائري – العثماني ضد المشروع الإسباني الإستعماري، وستأخد العلاقة بين الجزائر وإسبانيا منعرجا آخر تكتسب فيه الجزائر مكانة هامة في البحر الأبيض المتوسط.

[1]– محمد دراج: المرجع السابق ، ص ص224-225.

# الفصل الثاني

## نظرة الكتابات المحلية للوجود العثماني في الجزائر

المبحث الأول: الجهاد البحري

المبحث الثاني: علاقة الحكام بالمحكومين

المبحث الثالث: القضاء

المبحث الرابع: العلم والعلماء والثقافة

المبحث الخامس: العمران

تواترت الأحداث التاريخية في الجزائر العثمانية عبر العديد من الكتابات التاريخية المعاصرة لهذه الفترة، تلك هي الموجودة في شكل مذكرات، مخطوطات، أو روايات شفوية، أو ورحلات بأنواعها والتي اهتمت بالوصف، لكتابة تاريخ هذه الحقبة الهامّة لبلاد المغرب الأوسط وامتدت لتصل إلى الاقليم ككل، وأدّى هذا التفاعل مع الأحداث لدفع حركة التأليف والكتابة في مختلف الحقول المعرفية والتاريخية سوآءا سياسيا ، اقتصاديا، واجتماعيا، ولعل الباحث يجد نقصا فادحا لفترات متقدمة بداية من القرن السادس عشر، حيث كان الاهتمام بالتاريخ وتدوين الأحداث يكاد يكون منعدم، ونجد هذا جليا في ما ذكره الورثيلاني في رحلته إذ يعبر عن نقص الاهتمام بعلم التاريخ[1]، ويحذوا حذوه أبي راس الناصر فيصف عصره بتعطل فنون الأدب فيه، وأنّ دوره هو إحياؤها بما فيها التاريخ[2].

## المبحث الأول : الجهاد البحري

إنّ حتمية الوجود العثماني في منطقة المغرب العربي أوجبته أوضاع مسلمي الأندلس ودورهم من خلال رفع لواء الجهاد وانقاذهم من المذابح الصليبية، ونقلهم للسواحل المغاربية التي لم تسلم من الغزو هي كذلك، وأيضا استعانة اهالي الجزائر بهم لتحرير المناطق المحتلة من طرف الاسبان على طول الشريط الساحلي الممتد من الغرب الى الشرق، فيرى العثمانيون أنه من الواجب نصرة المسلم المظلوم وهذا ما ينص عليه دين الاسلام، فالرابطة الدينية كانت العنصر المشترك والحبل الوثيق بين الاهالي والعثمانيين .

### أولا: الجهاد البحري من المنظور الشرعي

#### 1- تعريف الجهاد:

- **لغة:** هو بذل واستفراغ ما في الوسع والطاقة من قول أو الفعل[3]

---

[1]- الحسين بن محمّد الورثيلاني، **نزهة الأنظار في علم التاريخ والأخبار (الرحلة الورثيلانية)**، مكتبة الثقافة الدينية، ط1،القاهرة،2006م،ج2، ص ص 241-242.

[2] - محمد أبي راس الناصري: **محمد أبي راس الناصر، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار**، المركز الوطني في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية تق و تح محمد غالم، د ط، د ت، وهران، ج2، ص.32

[3]- سعيد بن علي بن وهف القحطاني، **الجهاد في سبيل الله**، مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان،ط1، الرياض، 1436هـ، ص5.

– **شرعا:** هو بذل الجهد من المسلمين في قتال الكفار المعاندين المحاربين، والمرتدين، والبغاة ونحوهم؛ لإعلاء كلمة الله تعالى[1].

## 2– الجهاد في القرآن والسنة والنبوية:

### أ– الجهاد في القرآن:

الجهاد في سبيل الله فرض مصداقا لقوله تعالى: ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُون**﴾ **[البقرة216 ]**.

### ✓ حكم الجهاد في سبيل الله:

الجهاد فرض كفاية إذا قام به من يكفي من المسلمين سقط الإثم عن الباقين[2]، قال الله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ** ﴾ **[التوبة 122]**.

**ويكون الجهاد فرض عين في ثلاث حالات:**

✓ **إذا حضر المسلم المكلف القتال** والتقى الجمعان وتقابل الصفّان[3]، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [الأنفال 45]. وقال سبحانه: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ** ﴾ **[الأنفال 15–16]** ، وجاء في حديث النبي صلى الله عليه وسلم أنّ <<التولي يوم الزحف من السبع الموبقات[4]>> .

✓ **إذا حضر العدو بلداً من بلدان المسلمين** تعين على أهل البلاد قتاله وطرده منها، ويلزم المسلمين أن ينصروا ذلك البلد إذا عجز أهل البلاد عن إخراج العدو ويبدأ الوجوب بالأقرب

---

[1]– سعيد بن علي بن وهف القحطاني: المرجع السابق ، ص5.

[2]– نفسه: ص5.

[3]– نفسه: ص ص6–7.

[4]- مسلم ابن الحجاج النيسابوري: **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، تح رائد بن صبري إن أبي علفة، دار الحضارة للنشر والتوزيع، ط2، الرياض،1436 هـ، ص44، حديث رقم: 1742.

فالأقرب، قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ**﴾ **[التوبة 123]**.

✓ **إذا استنفر إمام المسلمين الناس** وطلب منهم ذلك[1]، قال الله تعالى: ﴿ **انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ **[التوبة 41]**، وقال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ** ﴾ **[التوبة 38]**

**وجنس الجهاد فرض عين:** إما بالقلب، وإما باللسان، وإما بالمال، وإما باليد فيجب على المسلم أن يجاهد في سبيل الله بنوع من هذه الأنواع حسب الحاجة والقدرة، والأمر بالجهاد بالنفس والمال كثير في القرآن والسنة[2]، وقد ثبت من حديث وعنْ أنس رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ : << جاهِدُوا المشرِكينَ بِأَموالِكُمْ وأَنْفُسِكُم وأَلسِنَتِكُم[3] >>رواهُ أَبُو داود .

**ب- الجهاد في السنّة النبوية**

- عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال يوم الفتح: <<لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونيّة، وإذا استُنفرتم فانفِروا[4]>>؛ رواه الشيخان

أخرجه البخاري (2783) في الجهاد، ومسلم (1353)في الحج.

- <<سَأَلْتُ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قُلتُ: يا رَسولَ اللَّهِ، أيُّ العَمَلِ أفْضَلُ؟ قَالَ: الصَّلَاةُ علَى مِيقَاتِهَا، قُلتُ: ثُمَّ أيٌّ؟ قَالَ: ثُمَّ برُّ الوَالِدَيْنِ، قُلتُ: ثُمَّ أيٌّ؟ قَالَ :الجِهَادُ في سَبيلِ اللَّهِ فَسَكَتُّ عن رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، ولَوِ اسْتَزَدْتُهُ لَزَادَنِي[5]>>.

الراوي : عبدالله بن مسعود / المحدث : البخاري / المصدر : صحيح البخاري الرقم2782

---

[1]- سعيد بن علي بن وهف القحطاني: المرجع السابق، ص 7.

[2]- نفسه: ص 9.

[3]- سليمان ابن الأشعث: **سنن أبي داود**، كتاب الجهاد، باب كراهية ترك الغزو، دار الحضارة للنشر والتوزيع، ط2، الرياض، 1436هـ-2015م ص 320، رقم الحديث 2504.

[4]- البخاري محمد ابن إسماعيل: **صحيح البخاري**، كتاب الجهاد والسير، باب فضل الجهاد والسير، دار ابن كثير، ط1، دمشق- بيروت، 1423هـ- 2006م، ص 689، رقم الحديث 6783.

[5]- البخاري محمد ابن إسماعيل: ص 689، رقم الحديث 6782.

### ✓ فضل غزو البحر

غزو البحر مشروع وقد نقل عن الإمام مالك أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يمنع الناس من ركوب البحر فلم يركبه أحد طول حياته فلما مات استأذن معاوية عثمان رضي الله عنهما في ركوبه فأذن له ولم يزل البحر يركب حتى أيام عمر بن عبد العزيز فمنع الناس من ركوبه ثمّ أذن فيه واستقر الأمر عليه[1].

- <<كانَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ إذَا ذَهَبَ إلى قُبَاءٍ، يَدْخُلُ علَى أُمِّ حَرَامٍ بنْتِ مِلْحَانَ فَتُطْعِمُهُ، وكَانَتْ تَحْتَ عُبَادَةَ بنِ الصَّامِتِ، فَدَخَلَ يَوْمًا فأطْعَمَتْهُ، فَنَامَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، ثُمَّ اسْتَيْقَظَ يَضْحَكُ، قَالَتْ: فَقُلتُ: ما يُضْحِكُكَ يا رَسولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: نَاسٌ مِن أُمَّتِي عُرِضُوا عَلَيَّ غُزَاةً في سَبيلِ اللَّهِ، يَرْكَبُونَ ثَبَجَ هذا البَحْرِ، مُلُوكًا علَى الأسِرَّةِ، أوْ قَالَ: مِثْلَ المُلُوكِ علَى الأسِرَّةِ - شَكَّ إسْحَاقُ - قُلتُ: ادْعُ اللَّهَ أنْ يَجْعَلَنِي منهمْ، فَدَعَا، ثُمَّ وضَعَ رَأْسَهُ فَنَامَ، ثُمَّ اسْتَيْقَظَ يَضْحَكُ، فَقُلتُ: ما يُضْحِكُكَ يا رَسولَ اللَّهِ، قَالَ: نَاسٌ مِن أُمَّتِي عُرِضُوا عَلَيَّ غُزَاةً في سَبيلِ اللَّهِ، يَرْكَبُونَ ثَبَجَ هذا البَحْرِ، مُلُوكًا علَى الأسِرَّةِ، أوْ: مِثْلَ المُلُوكِ علَى الأسِرَّةِ فَقُلتُ: ادْعُ اللَّهَ أنْ يَجْعَلَنِي منهمْ، قَالَ: أنْتِ مِنَ الأوَّلِينَ فَرَكِبَتِ البَحْرَ زَمَانَ مُعَاوِيَةَ، فَصُرِعَتْ عن دَابَّتِهَا حِينَ خَرَجَتْ مِنَ البَحْرِ، فَهَلَكَتْ[2]>>.

الراوي : أنس بن مالك | المحدث : البخاري | المصدر : صحيح البخاري

الرقم | 6282 :خلاصة حكم المحدث : صحيح | انظر شرح الحديث رقم 2886

التخريج : أخرجه البخاري (6282، 6283) واللفظ له، ومسلم (1912).

[1]- عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن فايع، **أحكام البحر في الفقه الإسلامي**، دار الأندلس الخضراء، ط1، جدّة، 1221هـ-2000م، ص247.

[2]- البخاري محمد ابن إسماعيل، **صحيح البخاري**، كتاب الاستئذان، باب من زار قوما فقال عندهم، دار ابن كثير، ط1، دمشق-بيروت، 1423هـ- 2006م، ص 1568، رقم الحديث (6282، 6283).

- عن أم حرام بنت ملحان عن النبي صلى الله عليه وسلم: <<المائِدُ في البَحْرِ الذي يُصِيبُهُ القَيْءُ لهُ أَجْرُ شَهِيدٍ ، والغريقُ لهُ أَجْرُ شَهِيدٍ[1]>>.

**ثانيا: القوى المحلية والعثمانية ودورها في تحرير موانئ بلاد المغرب الأوسط**

امتدت الهجومات الاسبانية في نهاية القرن الخامس العشر وبداية القرن السادس عشر الميلاديين الى أغلب من سواحل بلاد المغرب الأوسط ، تم من خلالها نهب وتخريب العديد منها مثل بجاية التي يصف الوزان حالتها بقوله " **وأخد الكونت بيير المدينة ونهبها، ثم شيّد بسرعة قلعة قرب البحر**"[2]، فكان الملاذ الوحيد لأهالي الجزائر لدحر الغزو الصليبي و اللجوء الى الإخوة بربروس، وطلب الدعم منهم لدحر العدو رفع لواء الجهاد معا.

وحذّر العلماء من الخطر الإسباني قبل انضمام الجزائر للخلافة العثمانية ومنهم العالم الأديب الشيخ محمّد التّواتي الذي خاطب سكّان وهران بقصيدة طويلة نقتطف منها هذه الأبيات"

يا أهل وهران انظروا نظر شفقة لبلداتكم من قبل أن تتردتي

وقبل مجيئ المنشآت ببحرها وأي قلوب عندها مستقرتي

ولا تكلوها غيركم ولئن يكن فما غائب مثل المقيم ببلدة

إلى أن يقول:

فلا تهملوا أمر الأعادي فإنهم بحال اجتماع واتفاق وشدة

وقد قطعوا قطعا فإن ظفروا بكم فقد ظفروا طرا بأهل الجزيرة[3]

ويذكر خير الدين في مذكراته بداية التواصل مع الأهالي من محاولة تحرير بجاية إذ يقول " **بعد فتح القلعة جاء جميع شيوخ وقواد المناطق المجاورة لبجاية مبايعين لي ... ومن ناحية أخرى**

---

[1]- سليمان ابن الأشعث: **سنن أبي داود**، كتاب الجهاد، باب فضل الغزو في البحر، دار الحضارة للنشر والتوزيع، ط2، الرياض، 1436هـ-2015م ص 318، رقم الحديث 2493.

[2]- حسن الوزان: **وصف إفريقيا**، تر محمد حاجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط2، لبنان، 1983، ص51.

[3]- ابن سحنون الراشدي: **الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني**، تح و تق المهدي بوعبدلي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع،ط1، الجزائر، 2013 ص 18.

**فإن أهالي الجزائر رأوا أن الاتراك قادرين على قصم ظهر الإسبان، إضافة إلى أنهم مقيمون للعدل ويخشون الله"**[1]، وهو ما أشار إليه ابن أبي الضياف إذ يقول " **فكاتبه العلماء، والأعيان من أهل بجاية يستصرخونه في انقاذ مدينتهم من العدو، فتوجه لها، ومعه أخوه عروج، وحاصرها بأسطوله"**[2]، وهو ما ذكره صاحب الغزوات فقد أورد "**وقد كان سمع بأن بجاية أخذها النصارى من أيدي المسلمين، فظهر له أن يغزوها"**[3].

ويذكر ابن رقية التلمساني استنجاد أهالي ومشيخة الجزائر من علماء وأعيان الى الاخوة طالبين تحرير مدينتهم فبعثوا اليهم يشكون من النصارى قائلين لهم " **سمعنا بكم أناس تحبون الجهاد، وأخذتّم بجاية وجيجلة من أيدي النّصارى ونصرتم الدّين؛ فهنيئا لكم أيّها المجاهدون، لابدّ أن، تقدموا إلينا، وتخلّصونا من أيدي هؤلاء الملاعين الكفرة؛ لأنّنا في محنة عظيمة وذلّة شديدة"**[4]، حيث أن هذه المواقف تعبر عن وجود حاضنة للعثمانيين بين أهل البلد كسند لمباشرة الجهاد وتطهير البلاد من الوجود الصليبي ، غير أنّه لم يكن دور الأهالي غائبا في المقاومة بل كانوا جنبا إلى جنب مع العثمانيين[5].

وتتجلى صور الانسجام بين العثمانيين وأهالي الجزائر في صد الحملات، كذلك بعد انضمام الجزائر للدولة العثمانية ومثال ذلك ما قام به حسن آغا[6] عندما شرع في جمع أهل المدينة ونصّب ديوانا عظيماً جمع فيه علماء البلد وصلحاءهم ومشايخهم، وجعل يسكنّهم ويطيّب نفوسهم، ويهون عليهم أمر هذه العمارة، وهو مع ذلك يستشيرهم وينظر ما يتّفقون عليه، وذكّرهم بانتصارات عروج

[1]- مجهول، **مذكرات خير الدين بربروس**، تر محمد دراج، شركة الأصالة للنشر، ط1، الجزائر، 2010 م، ص ص 73-74.

[2]- أحمد ابن أبي الضياف: **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**،3ج، الدار التونسية للنشر، ط2، تونس1977،ج2، ص10.

[3]- مجهول: **غزوات عروج وخير الدين**، تعر نور الدين عبد القادر، المطبعة الثعالبية، الجزائر،1934، ص17.

[4]- محمد بن رقية التلمساني: المصدر السابق، ص83.

[5]- فكاير عبد القادر: المرجع السابق، ص155.

[6]- يرجع أصل حسن آغا إلى سردينيا، وقع صغيرا في الأسر من قبل سفن خير الدين الذي كفله وجعله كأحد أبنائه وجعله خليفة له في الحكم **ينظر**: ابن رقية التلمساني: المصدر السابق ص10.

- خلف خير الدين في الحكم سنة 1531م قام بضم مستغانم وبسكرة وتصدى لحملة شارلكان ثم تولى الحكم للمرة الثانية في 1551م ثم عاد للحكم للمرة الثالثة سنة1561م **أنظر أيضا**: بن رجب شاوش ابن المفتي : **تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها**، جمعها واعتنى بها فارس كعوان، بيت الحكمة، ط1، العلمة، الجزائر، 2009م، ص ص39-41.

وخير الدين وما يسّر الله للمسلمين من نصر ومع ذلك يا أهل الجزائر فقد تعيّن الجهاد علينا معشر المسلمين لا لغرض الحياة الدّنيا بل نريد بذلك إعلاء كلمة الله وتحصيل الدّرجات العليا بالشهادة. فقد قال الله تعالي في حقّ الشُّهداء ﴿ **وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (169)فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ(170)** ﴾ **[آل عمران169–170]**.وإن كنّا في قلة والعدوّ في كثرة، قال الله تعالى ﴿**كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾ **[البقرة 249]**، وقد قالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : <<وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ[1]>> وقد ورد أنّ سيوف المجاهدين معلقةٌ بالعرش...، فحصلت لأهل الجزائر قوة عظيمة بكلام حسن آغا ووطنوا أنفسهم للجهاد، فعند ذلك فتح خزانة السّلاح ووزّعه في أهل المدينة مع ما يحتاجون اليه من البارود و الرّصاص[2].

وظلّ هذا التعاون قائما وتغنّى به الشعراء منهم الولي الصالح الشيخ الأكحل بن خلوف الشهير بالأخضر يروي قصّة الحرب بين الإسبان وحسن ابن خير الدين وانضمام القبائل لصفوف الباشا منها قبائل **بني راشد** و**ال سويد** ويقول فيها:

يَا سَـايلني عن طـرّاد الـروم قصـة مَزغـــران معلـــومة

يا سايلني كيفْ ذا القصة ما بين النصراني وخير الدين

ترَى سْفُون الروم مُحْترصة صَّبحُوا في المنا أعداء الدين

ارْفع رَاسَكْ يا علي المفهوم يا سيد الحَسَنين وفاطيمة

شُوف بْلادنا كيف رَاهَا اليوم تَسْبيهَا الكفارْ الظـالمة

من **بني راشد وال سويد** وافرَاسينْ انْطحْ عبد الـــواد

يا مغــراوة تْحَـزمُوا لَلْكيـدْ مَنكُمْ خَلْقَتْ اَسْلَاطينْ وَجْوادْ[3]

[1]– مسلم ابن الحجاج النيسابوري: **صحيح مسلم**، تح رائد بن صبري إن أبي علفة، دار الحضارة للنشر والتوزيع، ط2، الرياض،1436 هـ، ص573، حديث رقم: 1742.كتاب الجهاد والسير، باب كراهة تمني لقاء العدو والأمر بالصبر عند اللقاء.

[2]– محمد بن رقية التلمساني: المصدر السابق، ص ص 113-115.

[3]– بن سحنون الراشدي: المصدر السابق، ص28– 30.

وابن آقوجيل يحث الباشا حسين خوجة الشريف[1] ب وكان قبل الباشا محمد بكداش على جهاد الكفار بوهران ويقول فيها :

ولتلتفت نحو الجهاد بقوّة والكفر اقطع أصله بذكور

جهز جيوشا كالأسود وسرّحن تلك الجواري في عباب بحور

أضرم على الكّفار نار الحرب لا تقلع ولا تهملهم بفتور

وبغربنا وهران ضرس مؤلم سهل اقتلاع في اعتناء يسير

كم قد أذت من مسلمين وكم سبت منهم بقهر أسيرة وأسير

حلت بأرض المسلمين فهل لها من عسكر عند الصباح مغير[2]

وكذلك انشودة جزائرية شعبية تؤرخ لحرب الدانمارك وجدت محفوظة في اوراق المستشرق دي بارادي بالمكتبة العامة بباريس وجاء فيها:

بسم الله نبدا على وفا هذى القصـــة تعيـــانا

قصـــة البومبة المتلفـــا كيف جابوها اعـدانـا

واضحاو على البعد واقفا مـا قـــربـوا لحـــــذانا

والرجال على الحرب واقفا كي السبـــوع غضبـــانة

اتفقت الاسلام للجهاد وصاروا بالفـرح يخـدموا

بقلوب عل الحرب لاهفا تخفـــــق كـا لعقبـــــان[1]

[1]- حسن خوجة شريف تولى الحكم 26 رجب 1117هـ-1705م بعد قتله مصطفى أهشي

**ينظر:** بن رجب شاوش ابن المفتي: المصدر السابق ص59.

[2]- ابن ميمون الجزائري، **التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية**، تق وتح محمد بن عبد الكريم، ش.و.ن.ت، ط2، الجزائر،1981، ص207.

ويصف التمقروتي عند توقفه بمدينة الجزائر قائلا " **رياسها موصوفون بالشجاعة وقوة الجأش ونفوذ البصيرة في البحر يقهرون النصارى في بلادهم، فهم أفضل من رياس القسطنطينية بكثير وأعظم هيئة وأكثر رعبا في قلوب العدو...**"[2]، كما يذكر نقيب أشراف الجزائر الزهار في كتابه واصفا الرغبة في الجهاد والتهافت عليه قائلا" **عندما يأتي وقت الخروج لملاقاة العدو، تجد الناس يزدحمون على الركوب معهم، ولا يصل لذلك إلّا الرجل الشجاع. وقد سمعت من أحد الحاضرين، أنه وقت الخروج لملاقاة العدو، يصلي الناس الجنازة على الخارجين للحرب، ويضج الناس بالدعاء والصلاة على النبي صلى الله عليه سلم. يخرج المجاهدون تصحبهم آلات الطرب والجوق وكأنهم خارجون للنزهة** "[3] .

وقد ظل هذا الانسجام والتعاون بين العلماء والأهالي العثمانيين مستمر في جهاد الصليبيين إلى غاية تحرير وهران وتوحيد الإيالة .

---

[1]- المدني احمد توفيق: **محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص ص 144-147.

[2]- علي بن محمد التمكروتي: **النفحة المسكية في السفارة التركية**، تق وتح عبد اللطيف الشّادلي، المطبعة الملكية ، الرباط، 1423هـ-2002م، ص 129.

[3]- أحمد الشريف الزهار: **مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر**، تح أحمد توفيق المدني، ش.و.ن.ت، ط2، الجزائر، ص33.

## المبحث الثاني: علاقة الحكام بالمحكومين

تميزت العلاقة بين الحكام العثمانيين بالانسجام والتعاون خاصة أن البلاد تتعرض لغارات مستمرة من طرف الاوروبيين وأيضا غير مكتملة التحرير خاصة أن الإسبان لا يزالون يحتلون الجزء الغربي، من وهران وتلمسان إلا أنّه وبعد سنة 1792م مع التحرير الثاني لوهران وانتفاء عامل الجهاد الذي جمع بين الطرفين تغير العلاقة وشابها نوع من التنافر والتقاطع بفعل ممارسات الولاة العثمانيين المتأخرين في الجزائر خاصة من بداية القرن السابع عشر إلى غاية الغزو الفرنسي[1].

ففي المرحلة الأولى من العلاقة التي سادها التعاون والانسجام يذكر خير الدين في مذكّراته " **أنّ أهالي الجزائر يحبوننا وهم يعرفون جيدا قيمة النعمة التي يعيشون في كنفها منذ أن حللنا ببلدهم، فقد استطعنا أن نوحد إمارات وقبائل هذا البلد الكبير، وازدهرت التجارة مرات كثيرة، وأمن المسلمون من ظلم الاسبان، فصاروا أحرارا يسيرون مرفوعي الرؤوس...**"[2]، ولكن هذا لم يمنع ابن القاضي شيخ مدينة الجزائر من الثورة على خير الدين الذي في النهاية فشلت ثورته وقتل[3]. ويذكر كذلك في هذا السياق حمدان خوجة" **أما عن حكومة الأتراك، فإن هؤلاء السكان عندما رأوا أن هذا القائد المسلم جاء لنجدة الاندلسيين ...، استقبلوه بالعرفان والحماس... وبعد ذلك تكونت في مدينة الجزائر حكومة قائمة على مبادئ معتدلة وتدعوا إلى التفاهم لربط مصالح الأهالي بمصالح الأندلسيين**"[4].

وإضافة إلى ذلك سعت السلطة إلى احترام المرابطين عملا بنصيحة الأهالي" نصحوه بأن يمنح المرابطين ثقة مطلقة لأنّ ذلك يمنع الجميع من أن يقفوا موقفا معارضا... ومن ذلك الحين لم يكتف الأتراك بأن فرضوا على أنفسهم احترام هؤلاء المرابطين، وإنما صاروا يقدمون لهم أكبر الامتيازات، وصارت أماكن سكناهم وضرائحهم، بعد الموت، مقدسة، كما أن القانون لا يمس كل من لجأ إليها" ويضيف كذلك في خصوص الترابط بين القبائل والعثمانيين" وإذا اعتزمت إحدى القبائل على

---

[1]- ناصر الدين سعيدوني، **ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، دار البصائر، ط2، الجزائر،2009، ص ص209-210.

[2]- مجهول: مذكرات خير الدين المصدر السابق، ص 101.

[3]- نفسه: ص 114.

[4]- حمدان خوجة: **المرآة**، تق وتع وتح، محمد العربي الزبيري، ش.و.ن.ت، ط2، الجزائر، 2005، ص ص 70-71.

تشويش الأمن العام، فإن القبائل الأخرى تنضم إلى الأتراك لمحاربتها، وقلما يلجأ هؤلاء إلى قوتهم الحربية و إنما كانوا يفضلون الاعتدال لبلوغ الأهداف التي وضعوها لأنفسهم"[1].

أمّا من حيث المعاملة فكانت القوانين تمنع الجند من التعدي على السكان ويقول حمدان خوجة " **ومن النادر أن تجد سارقا أو قاتلا من بين هؤلاء الجنود، وقد كانوا شديدي الحرص على احترام عادات البلاد ليجبوا أنفسهم إلى سكان الإيالة** "[2]

حيث أنّ العلاقة مع القبائل فكانت جيدة خاصة أن العثمانيين احترموا كثيرا النظام القبلي وكانت تعيش حالة استقلال تام نوعا ما، إلا في قضية الضرائب فكانت تجمع منها ويذكر حمدان خوجة ذلك" **يؤخذ العشر أو الجزء العاشر من الانتاج وتوضع مقادير ذلك في صندوق الخزينة لدفع مرتبات الجيش والاعتناء بالفقراء وتربية الأيتام ودفع أجور القضاة** "[3].

تحكمت العلاقة بين السكان في المدن والريف وبين السلطة المتحكمة في الجهاز الاداري والمعتمدة على المؤسسة العسكرية في نوعية الإجراءات الجبائية وطبيعة التعامل، فقد كانت هذه العلاقة تقوم على أساس إقرار النظام والمحافظة على الأمن، ويترتب عليها خضوع السكان و استخلاص الضرائب، فالتعامل مع طوائف المدن كان يقوم على مبدأ التفاضل في الامتيازات؛[4] حيث بعد حلول الجنس التركي احتل مكانة مفضلة والكراغلة والحضر وغيرها من الطوائف التي كانت لهم كذلك مكانة مقابل ما يقدمونه كالأندلسيين وغيرهم ولعل المراد هنا التركيز على علاقته السلطة بالمحكومين من الأهالي من بداية الوجود العثماني إلى نهايته.

في حين المرحلة والتي شابها نوع من التنافر والقطيعة هذه العلاقة عدة تغيرات فساءت العلاقة بين الرعية والحكام وهذا من بعض السياسات الخاطئة وبعض الحكام الذين كان همهم جمع الثروة فانتشر الظلم والجور وصورها ابن ميمون في وصفه لحال الحاكم مصطفى أهجي الذي تولى بعده

---

[1]- حمدان خوجة: المصدر السابق ص ص 72-73.

[2]- نفسه: ص81.

[3]- نفسه: ص105.

[4]- ناصر الدين سعيدوني: **ولايات المغرب العثمانية–الجزائر. تونس. طرابلس الغرب**، البصائر للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر،2014، ص131-132.

محمد بكداش[1] الحكم يصف حاله مع الرعيّة قائلا " ... **ولما رأى الباغي ساد، وطغى في البلاد، واستوى في ذلك عنده العالم والجاهل،... وعامل الناس أسوأ معاملة أعطاهم المقابحة عوضا من المجاملة، وأهمل حال الدولة... واشتغل بنهب الأموال، اجراء المظالم في كل حال...**"[2]، ويذكر العنتري كذلك واصفا حال قسنطينة "**ومن هذا الوقت صاروا الترك يأخذون الجور، ونبذوا الحقوق المشروطة بدى (كذا) منهم الفجور... تبدت أحكام الترك وانقلبت حقائقهم وصار صغيرهم لا يواقر(كذا) كبيرهم، وبد (كذا) النقص في ملكهم...**"[3].

ولعلّ بداية التماسك الذي شهدته علاقة السلطة بالسكان في بداية الأمر سرعان ما طرأت عليها بعض التغييرات خاصة ثورة المحال لقبائل سويد التي تحالفت مع العثمانيين في بادئ الأمر بالطرد الإسبان في حرب مستغانم، حيث اختلف المؤرخون في ذكر سبب هذا التمرّد الذي دام لفترة ما يقرب من القرنين واختارت هذه القبيلة الجلاء على الاستسلام بعد عجزها في التغلب على التّرك ويصف الشاعر ابن السويكت مقاومة القبيلة في بيتين فقال:

قالو التّرك ندو (شلف) لا وهمة  قلنـا لهـم جـدودنا في الـــواد

مانتركوش (شلف) حتّى تطيب الصمّة  وما نهدوش العقبة على الأولاد

حيث سجّل شاعرهم الشّعبي ابن السويكت الكثير من المعارك فيذكر منها:

على أرهيو وعلى جديوية كارسين  الترك جوف واسويد جاو للقبلة

خيمة مع أخبا وبنود متقابلين  من الصبح للمساكل كل يوم مقتلة

الترك جاروا والسويد اعقابهم طافحين  والترك شاربين لهبـال في سطلة

البـاي قـد شـور لـــيهم  وسـويد لـــيه زادوا حملـــوا[4]

---

[1]- محمد خوجة بكتاش لقب ب : دولاتي في 28 ذي القعدة 1118هـ-1707م **أنظر**: بن رجب شاوش ابن المفتي: المصدر السابق ص59.

[2]- ابن ميمون: المصدر السابق، ص123.

[3]- صالح العنتري: المصدر السابق، ص 68.

[4]- بن سحنون الراشدي: المصدر السابق، ص39.

وهناك من الشعراء مثل الأديب أبو عثمان سعيد بن عبد الله الملقب بالمنداسي الذي هاجر إلى المغرب وعاش في بلاد الملوك العلويّين وكان من جملة المحرضين على قتال الأتراك، والذي أنشأ قصيدة في مثالب أتراك تلمسان، واتّهمهم مع من والاهم من العلماء بتهم شنيعة قال فيها:

أمن قادر بالله يحمي تلمسانا فإن بها من قوم يأجوج إخوانا

بنى السد ذو القرنين للنّاس رحمة فيا ليته من شوكة الترك هنانا

فما دبّ فوق الترك للسمع طارق ولا وجد الشيطان كالترك فتانا

إلى أن يقول:

وأكـــبر شيء أفســـدته أكفّهـــم تلمسان عين الغرب علما وإيمانا

وكانت لعم لما أرادوا افسادها أراذل منهم كالبطارق أعوانا

فقل لابن (...) في الضلال أئمة تدبر لحاك الله ما قال مولانا

ولا تركنوا والركن منكم سجية كأنك لم تسمع من الله قرآنا

فإنّ أمير الترك فرعون قائم وأنت جليس السّوء ف زي هامانا[1]

وما ميز القرنين الأخيرين من الوجود العثماني انتشار الفتن والنزاعات التي ساهمت في تخريب العديد من المدن وأثرت وساهمت في تخلفها ولعلّ ما يسرده لنا الورثيلاني خير دليل فيقول: "...غير أنه أصابت الشرفاء جائحة الفتنة وعوائق العداوة فهم فريقان فريق في القرية وهو المتمكن المعتصم بأولي الولاية من الترك والمتمسك بجاههم إذ من تمسكت بهم تفرض على غيره، وفريق آخر خارج عنها مستقر بغيرها من قرى الزّاب ومدينة بسكرة حتى يفتح الله عليهم وهو خير الفاتحين لأن الدهر قلّب إن دام لشخص يوما فبعده يتقلب..."[2] ويضيف واصفا حال مدن منطقة الزّاب منها بسكرة قائلا "... إلا أنها ابتليت بتخالف الترك عليها وعساكر العرب فيستولي عليها هؤلاء تارة وهؤلاء تارة إلى أن بنى الترك حصنا حصينا على رأس العين التي يأتي الماء منها إلى بسكرة فملكوا البلد وأضروا بأهلها

[1]- بن سحنون الراشدي: المصدر السابق، ص59- 60.

[2]- الحسين بن محمّد الورثيلاني: المصدر السابق، ج1،ص147.

واجحفوا بهم في الخراج ولم يقدروا على الخروج عليهم لتمكنهم من الماء الذي به حياة البلد وأهله اجتمعت عليها غارات العرب من الخارج وظلم الأتراك من الداخل وقد أشرفت على الخراب"[1]،ويضيف "...كما قال شيخ شيوخنا سيدي أحمد بن ناصر اجتمع عليها أمران ظلم الأتراك وظلم الأعراب فكانت بينهما كالكرةّ[2].

والورثيلاني في غالب الأحيان يحمّل الترك مسؤولية الخراب وتخلف البلاد وكان واضحا نوعا ما في رؤيته من ناحية إصدار حكمه على غير بعض المؤرخين في نظرته للسلطة العثمانية إذ يذكر قائلا "...**وهذه المدينة كانت قاهرة عظيمة البنيان والجامع الأعظم يدل على ذلك فانه لا نظير له وصومعته ما أحسنها وما أوسعها غير أن القديمة أي المدينة قد خربت وصارت دكا وسبب ذلك فتنة بينهم فادخلوا الترك فأهلكوها حتى بقي القليل منها حاصله أن الناس قد خرجوا إلى البساتين فبنوا هناك من ذلك العهد إلى الآن**"[3].

ويعلّق أبو القاسم سعدالله واصفا معاملة الجزائريين للأتراك على انّها كانت على أساس الأخوة الإسلامية لكن الأتراك جعلوا الحكم تركيا وليس اسلاميا ولم يشركوا الجزائريين معهم فيه، بل احتكروه لأنفسهم طيلة وجودهم[4]. حيث إن التآلف و التوافق بين الجزائريين و العثمانيين ،لم يعمر طويلا على المستوى السياسي ؛ ذلك أن العثمانيين بعد أن تأسس حكمهم ، و ترسخ نظامهم ، و قوت شوكتهم ، نظروا للجزائريين نظرة الغالب للمغلوب ، و عاملوهم على أساس أنهم أصحاب الفضل عليهم ، فقد طال الجزائريين التهميش السياسي ، و العسكري ، و حتى الاقتصادي[5].

صحيح أنه تم تهميش العنصر المحلي من الحكم لكن ما ذكره العنتري في كتابه تم تعيين محمد بن فرحاي باي (1588-1605م) بايا على قسنطينة لم يكن تركيا وكان من نبلاء قسنطينة ونال رضى الرعية لكن طيبته جعلت القبائل لا تدفع الضرائب، وبالتالي عجز عن دفع أجور الجند وعين

---

[1]- الحسين بن محمّد الورثيلاني: المصدر السابق، ج1، ص117.

[2]- نفسه: ج1، ص142.

[3]- نفسه: ج1، ص115.

[4]- سعد الله أبو القاسم: **تاريخ الجزائر الثقافي1500-1830**، دار الغرب الإسلامي، ط1،بيروت، 1998، ج1، ص15.

[5]- حنيفي هلايلي: **أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني** ، دار الهدى عين مليلة، د ط، الجزائر، 2009، ص ص 10-12-11.

باي جديد عليها وهو حسن باي[1]، ونرى أن القبائل كانت دائما في حالة عيان مما جعل الدولة في حال عدم استقرار داخلي.

ساهمت هذه النزاعات في التأثير بالسلب على تماسك العلاقة بين السلطة الحاكمة و والقبائل خاصة وبالرغم من الاستقرار الذي شهدته الإيالة لكن مع استمرار الوقت أثّر بالسلب خاصة مع نهاية فترة الوجود العثماني وهذا بسبب الجور والظلم والطغيان، نشبت ثورات عديدة في ربوع البلاد وتزعمتها الطرق الدينية كثورة الدرقاوي الذي لقي التأييد الواسع مع لدن القبائل الوهرانية التي كانت تناصره وتقدم له العطايا والهدايا[2] ويذكر حمدان خوجة قائلا "... وعلى إثر الأوضاع السيئة غضب الشعب وثار، وكان على رأس الثورة المسمى درغاوي، وقد استولى الثوار على معسكر بعد حصار قصير، ثم ساروا ضد وهران وحاصروها"[3]، وحسب وصف مسلم بن عبد القادر" فأمسى الباي ومخزنه في نكد وأصبح الدرقاوي في رغد..."[4]، و ثورة التيجانية، وابن الأحرش ويورد حمدان خوجة فيقول عنها "... ونفس هذه الاعمال تعرض لها بايات قسنطينة ظهر أحد المغامرين على رأس حزب من المتمردين، يسمى ذلك المغامر ابن الأحرش وقد أقام مقر قيادته في نواحي بجاية ليتمكن من التحصن في الجبال المجاورة لتلك المنطقة"[5]، وكان لهم صدى وتأثير كبير على المستوى الشعبي والرسمي، حيث تزعّم هذه الثورات أشخاص حبا في المغامرة أو طمعا في الجاه واحيانا تقودها عائلة أو ثورة جهة[6]على سبيل المثال، مما ساهم في إضعاف الدولة وتردّي الأوضاع اجتماعيا، وسياسيا، واقتصاديا وسهّل وقوعها في الاحتلال الفرنسي.

---

[1]- صالح العنتري: المصدر السابق، ص34.

[2]- محمد بن يوسف الزياني: **دليل الحيران وانيس السهران في اخبار مدينة وهران** ، تح و تق، المهدي البوعبدلي، د ط، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1979م، ص 247.

[3]- حمدان خوجة: المصدر السابق، ص 130.

[4]- مسلم بن عبد القادر: **أنيس الغريب والمسافر**، تح و تق :رابح بونار، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1982م، ص73.

[5]- حمدان خوجة: المصدر السابق، ص ص 131-132.

[6]- سيدهم فاطمة الزهراء: **علاقات دايات الجزائر بالدولة العثمانية**، دار كوكب العلوم للنشر والتوزيع والطباعة ، د ط، الجزائر، 2016، ص317.

## المبحث الثالث: القضاء

تميّز القضاء في العهد العثماني بالازدواجية[1]، حيث أضحى القاضي يلعب دورا هاما في مدينة الجزائر الأحوال الشخصية ويشرف على الاوقاف وعلى البيع والشراء ويتم تسجيل العقود بالمحكمة وإضفاء الشرعية على تلك المعاملات[2]، واذا كانت وظيفته دينية في الأساس فإن صلاحياته امتدت الى مختلف مجالات الحياة يفصل في الخلافات ، وينظر في الاحتجاجات، و يراعي شؤون ويسهر بنفسه على النساء والأرامل واليتامى أذ يعتبر من الموظفين السامين في الدولة ، فالقرارات الصادرة عن السلطة المركزية والباب العالي والتي تتعلق بالحياة الاقتصادية كانت توجه للقضاء.

ويعتبر المجلس العلمي بمثابة محكمة عليا أو ديوان المظالم ويفصل في القضايا التي يعجز القاضي عن الفصل فيها، ومن خلال القضايا المعروضة عليه يظهر أنّه هيئة دينية ومدنية وعسكرية، وهذا من خلال تركيبته فهو يضم مفتي مالكي وحنفي ، وهناك القاضي الملكي والحنفي وأحد رجال الجيش من الانكشارية وأشار سعيدوني بأن المجلس العلمي هو بمثابة الهيئة التشريعية لمؤسسة الاوقاف، إذ يحافظ عليها من الضياع . حيث تساعد هذه الهيئة از الشرطة الموضوع تحت تصرفها خاصة في قضايا الأمن[3].

وذكر العنتري الجهاز الشرعي والديني بقسنطينة حيث يقول" **يوجد بمدينة قسنطينة مفت، وقاض، مالكي لعموم الناس وقاض حنفي للأتراك والكراغلة، وعدلان، وناظر للأوقاف الإسلامية، يؤلفون جميعا المجلس الشرعي الإسلامي الذي يجتمع كل يوم جمعة للنظر في القضايا والفتاوى المختلفة، ويرأسه الباي أو قائد الدار**"4، وهو ما ذكره الورثيلاني خلال رحلته لما دخل قسنطينة حيث ذكر تشكيل السلطة القضائية قائلا "... **ومثله في العلم والفضل القاضي**

---

[1]- **المذهب الحنفي والمذهب المالكي.**

[2]- عائشة غطاس: **سجلات المحاكم الشرعية وأهميتها في دراسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي بمجتمع مدينة الجزائر في العهد العثماني**، مجلة إنسانيات، وهران ، عدد03، 1997، ص ص 71-79.

[3]- حنيفي هلايلي: المرجع السابق، ص ص 83-84.

[4]- صالح العنتري: المصدر السابق، ص24.

**الآن سيدي إبراهيم الضرباين قاضي المالكية وكذا العالم على الإطلاق والأديب بالاتفاق سيدي شعبان بن جلول قاضي الحنفية "**[1].

ويصف حمدان خوجة التنظيم القضائي أيضا قائلا" **وكانت السلطة القضائية، تشتمل على محكمتين، ومكونة من قاضيين ومفتيين أحدهما مالكي والآخر حنفي ... وتنظر هذه السلطة التشريعية في القضايا الإجرامية والتأديبية والجنائية، والدنية والحكومية، وتنظر كذلك في الخلافات التي تقع بين رئيس الدولة وأي شخص آخر، وهذه المحاكم مستقلة عن السلطان ، وحكمها لا رجعة فيه**"[2]، ويضاف لها هيئة تنفذ الأحكام الصادرة السلطة القضائية.

أما أبو راس الناصري يذكر مآثر الباي محمد الكبير وحرصه على إقامة العدل ويقول في "**ذلك جاهد من أجل حماية دار الإسلام وفرض الأمن والآمان...حتى أصبحت الشاة ترعي مع الذئب... فسياسته قائمة على العدل، ويحفظ حقوق العامة دون التفريط في حقوق الخاصة**"[3]

بالرغم من انتشار العدل والأمن والصرامة في تطبيق القانون إلا أنه انتشر الفساد والرشوة وخاصة استعمال المال لتبوء المناصب ووصل الأمر حتى للقضاء ويقول الورثيلاني في هذا الشأن ما أورده في رحلته " ... **وقد سمعت أن القاضي والمفتي فيها لا يتولى إلا بإعطاء لهم وارتشاء لديهم وكذلك في غيرها من عمالة الجزائر وقد قال بعض الفقهاء ممن شرح على المختصر كالشيخ إبراهيم الشبرخيتي أن المتولي للأحكام الشرعية بإعطاء منه فإحكامه مردودة وإن وافقت الحق وصلاته للجمعة باطلة إن كان إماما**"[4].

[1]- – الحسين بن محمّد الورثيلاني: المصدر السابق، ج2، ص351.

[2]– حمدان خوجة: المصدر السابق، ص72.

[3]- –محمد أبي راس الناصر: المصدر السابق ، ج2،ص 40.

[4]– الحسين بن محمّد الورثيلاني: المرجع السابق، ج1، ص142.

## المبحث الرابع: العلم والعلماء والثقافة

### أولا: علاقة الحكام بالعلماء

تنقل المصادر التاريخية صورا ممن العلاقة التي تربط الحكام والولاة بالعلماء ومشورتهم والالتجاء اليهم ، حيث يذكر خير الدين في مذراته عند سؤاله لعلماء الجزائر عن حكم فيمن تعاون مع الإسبان بقوله" **أيها السادة ماحكم الشرع فيمن تملأ مع الكفار الإسبان وبايع ملك إسبانيا الذي سار لقتل إخواننا في الدّين، وقابل نصحنا بالكنود؟**" فكان جواب العلماء أن:" **قتله مباح ودمه هدر وماله مباح**"[1]، ونفس الأمر يتكرر مع خير الدين الذي سأل علماء الجزائر بعدما جمعهم في قضية رؤساء الفتنة الذين قاموا بالثورة مع ابن القاضي قائلا" **سادتي المشايخ، ماحكم هؤلاء الأسرى في ديننا وشريعتنا؟**" وكان جوابهم " **إن حكم الشرع في حق الخارجين عليك وعلى عساكرك هو الموت...**"[2]، وأسّس بذلك الاخوة عروج لعلاقات وطيدة ومتينة بين الحكام والعلماء وذلك بالعودة إليهم بمشاورتهم والأخذ برأيهم وفتاويهم.

وكان العلماء في الجزائر يمثلون الرأي العام خلال العهد العثماني، فهم برغم مكانتهم الاجتماعية كانوا على صلة بالناس في الدّروس ومجالس الفتوى والقضاء وخطب الجمعة، إضافة إلى أنهم يثقون فيهم أكثر من رجال السياسة والحرب، حيث أن العثمانيين ونظرا لهذه المكانة كانوا يقدّرونهم ويخشوهم وفي ذات الوقت يتقربون منهم، وكان العلماء يقدمون النصح للحكام وقد اشتهر بعض الباشوات في تقريب العلماء منهم كيوسف باشا ومحمد بكداش إما حبا في الدّين والعلم وإما طمعا في تأييدهم وإما حبا في المدح والثناء[3].

ومن بين الأمثلة نجد الشاعر محمد ابن آقوجيل الذي حرض الباشا حسين خوجة الشريف على قتال الاسبان في وهران واستجاب لهذا وأيضا نصحه في مشاورة العلماء في قصيدته المشهورة، وفيما يلي بعض الأبيات:

شاور ذوي علم ودين ناصح ودع الغواة وكل ذي تزوير

فالعلم ميراث النبوة ناله قوم لهم حظ من التنوير

---

[1]- مجهول: المصدر السابق، ص 83.

[2]- نفسه، ص ص 114-115.

[3]- أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج1، ص ص 409-413.

كم في بلادك من نجيب حافظ ومشارك في النظم والمنثور[1].

ولعل ما يورده العنتري في كتابه حول احترام رأي العلماء، دور الفكون في دخول الترك لقسنطينة دون سلاح موجها خطابه للناس قائلا: "**هؤلاء الترك قدموا من حضرة السلطان العثماني، وهم من أبناء جنسه وتحت حكمه، اذ لا يليق بنا مقاتلتهم، ولا يسعنا منعهم**" وبعد وساطة الفكون كتب الباشا جوابا له جاء فيه" **الحمد لله، إلى مقام العالم المشهور الخيّر الصبور معدن الفضل المصون، سيدي الشيخ الفكون.....بلغنا أنّك سرت إلى ناس قسنطينة بالتدبر المفيد،... فجزاك الله بأحسن الجزاء... وثم نلتمس منك دعاء الخير في كل خطب..... وكن ببال من أولادك الترك والسلام كتب بأمر الباشا بالجزائر**"[2].

كما كان للعلماء دور كبير في التحريض على الجهاد والمشاركة فيه خاصة في فتح وهران الأول نجد الشيخ عبد القادر بن عبد الله المشرفي وقد أشار الحلفاوي في **منظومته** التي خصَّها لفتح **وهران** في عهد الداي محمد بكداش باشا إلى هذا الرِّباط فقال:

ثمة نادي بالجهاد في الورى مقدما ما كان عندهم ورا

فسارع الناس له إذ طلبهْ لا سيما جماعة من طلَ بهْ

أشار بهذا إلى أنَّ طلبة العلم وحملة القرآن : "وقال شارحُها عبد الرحمٰن الجامعي كانوا أشد النَّاس مسارعة لإجابة دعاء السلطان بكداش باش لهذا الجهاد المبارك . ... الخ"[3]،ويذكر أبو راس الناصري في الرّباط ومشاركة العلماء فيه منهم الشيخ أحمد بن ثابت رابط بوادي إيفري مع طلبته خلال الفتح الأول " فكانوا أشدّ الناس مسارعة لإجابة دعاء السلطان بكداش"[4].

وكذلك من مظاهر مشاركة الطلبة والعلماء إقامة الرّباط في عهد الباي محمد الكبير الذي شجع ذلك ومنع التدريس إلّا في الرّباط وقد استشهد كثيرٌ من العلماء في هذا الرِّباط يتقدمهم المساعد الأوَّل لرئيسه القاضي الشَّيخ الطَّاهر بن حوَّاء( قاضي قاعدة الإمارة معسكر) ، ويقول أبو

[1]- أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج1، ص 411.

[2]- صالح العنتري: المصدر السابق، ص ص 45-46.

[3]- أحمد الراشدي: المصدر السابق، ص81.

[4]- أبو راس الناصري : المصدر السابق، ج2، ص35.

راس الناصري في مآثرهم " **وقد ظهر بوهران لهم من الشجاعة أمور غريبة وإقدامات عجيبة وصبر خرج عن المعتاد ... فلاهم من العدو يفرون ولا من صواعق البونبة يتضعضون وهم مع ذلك يهجعون بتلاوة القرآن المجيد، مداومون على ذكره بترتيل وتجويد ... كل ذلك ينم على فنائهم بواد وهران كل حين رجة ، فقد أعدّو للكفرة أقوى عدّة**"[1]، أشار الراشدي لاستشهاد القاضي الطاهر بن حواء قائلا:

فوقعت هنا لكم حروب زيدت بها على العدى كروب

ومـات في أوَّلهـا المفضَّـل قاضي القضاة الطَّاهر المفضَّل[2]

واستعملت السلطة العلماء في الكتابة بالرّغم من وجود الكتّاب في الأزمات ويذكر الشريف الزهار في عهد أحمد باشا (1220هـ) خلال الحرب مع تونس " ثم ان الأمير، أمر الفقيه محمد بن العنابي ، قاضي الحنفية ،أن يكتب كتابا الى حمودة باشا "[3].

كما استعملت السلطة العلماء في بعثات الوساطة كذلك من خلال محاولة الصلح مع تونس في عهد علي باشا (1232هـ) حين " بعث إلى تونس الحاج يوسف من كبراء المماليك، وبعث معه العلامة الشيخ سيدي علي بن النيكرو والباش كاتب"[4]، وهذا يدل على أن السلطة كانت تمنح أهمية كبيرة للعلماء في الأزمات والوساطة لحلّها .

**ثانيا: الاهتمام بالعلم بالثقافة**

اهتمّ الحكام العثمانيون بالتعليم وتقاوت هذا الاهتمام حسب كل حاكم وحسب الظروف خاصة القرون الأولى التي شهدت عدم الاستقرار وكثرت فيها الحملات الصليبية فكان الجهد منصب على الجهاد وتحرير الثغور، ويرى ابن ميمون "أن العملية التعليمية كانت ذاتية وكون العثمانيين أعاجم وهذا ايضا عامل ربما جعلهم لا يهتمون بالتعليم في الكثير من الاحيان، ولكون التوجيه التعليمي كان

[1]- أبو راس الناصري : المصدر السابق، ج2، ص36.

[2]- أحمد الراشدي: المصدر السابق، ص83.

[3]- الشريف الزهار: المصدر السابق، ص97.

[4]- نفسه: ص138.

ديني أكثر منه أدبي لا سيما الزوايا التي لم تؤسس إلا لتكون مرتعا للعلوم الدينية، والفنون الإسلامية"[1].

يعدّ الباي محمد الكبير من رجال السلطة الذين اهتموا بالعلم والمعرفة وكان لهم بعد حضاري ويعتبر باعث الحركة الثقافية ببايلك الغرب، فاتسع بذلك حال العلماء وانشرحت الصدور للقراءة ، وشرهت النفوس، وكثر طلبة العلم، وتشوق كل أحد للتدريس، واشتد الحرص على العلم، بعد أن كاد يترك اشتغالا بالتجارة لقلة جدواه... ، الذي أنشاء المعاهد والمدارس، التي لعبت في عهده الدور الرئيسي في التعليم والتدريس، وقد كان من أشهرها المدرسة المحمدية حيث كانت مجهزة بكل الوسائل التعليمية والتثقيفية من كتب الى قاعات مطالعة وغيرها، كما عمل الباي على تعيين الأساتذة الأكفاء بها، وأقبل عليها الطلبة بلهف شديد، هذه المدرسة ذات نظام داخلي وخارجي، وانت تضم المرافق الأخرى الضرورية[2]، وقد تناول المؤرخ ابو راس الناصري موضوع المدرسة حيث قال:(...المدرسة المتعارفة عندنا الآن وهي التي تبنى لدراسة العلم .. كالمدرسة البوعنانية بفاس .. والمدرسة المستنصرية والبياشية بتونس والقشاشية في الجزائر)3 ، وتعدت هذه الحركة مدنا أخرى بإقليم البايلك.

وظهرت عدة مؤلفات أرّخت لفتح وهران الأول منها للعالم الأديب محمّد بن ميمون الجزائري " التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية"، وترجم فيه للباشا الفاتح، وكتاب "بهجة الناظر في اخبار الداخلين تحت ولاية الاسبانيين من الأعراب كبني عامر" للشيخ عبد القادر المشرفي وخصه للمتعاونين للعدو ثمَّ شرح "أرجوزة الحلفاوي" للرحّالة عبد الرّحمن الفاسي صاحب الرحلة المشهورة، الذي ساهم مع المهنئين للباشا بكداش في الفتح بقصيدة بليغة ذكرها صاحب (التحفة المرضيّة).[4]

كما اهتم الكتّاب في عهد الباي محمد الكبير ،بتدوين الأحداث التاريخية ،خاصة تاريخ وهران ولبايلك الغرب عامة، أصبحت الحياة الثقافية حافلة بقدر غير قليل من مصادر التاريخ الاقليمي، وذلك بسبب إجزال العطاء للمؤرخين للتأليف التاريخي، بحيث لما كان يحاصر محمد الكبير مدينة

[1]- ابن ميمون: المصدر السابق، ص57.

[2]- نفسه: ص ص 71- 72.

[3]- قاسمي الطاهر:**كتابات المؤرخين المغاربيين خلال العهد العثماني**، مجلة الانسان والمجال، العدد 05،المركز الجامعي نور البشير البيض، آفريل 2017، ص44.

[4]- أحمد الراشدي: المصدر السابق ، ص ص 13-14.

وهران وهي يومئذ تحت الاحتلال الإسباني ،أمر أحد المؤرخين وهو مصطفى بن عبد الله بن زرفة، بتدوين الأحداث التاريخية المتعلقة بالجهاد، فكان نتاج تلك الحركة مؤلفه " الرحلة القمرية في الأخبار المحمدية"[1] وكذلك كتب مستشار الباي وكاتبه الخاص أحمد بن هطال التلمساني الذي رافقه في رحلته عام 1785 "رحلة محمد الكبير الى الجنوب الصحراوي" وكان دافعه خدمة الباي من خلال قوله(أردت أن أذكر منه نبذة أخدم بها قامع المبغضين ، مدوخ المارقين ، من جعل الله له خصال الشرف المجد...)[2] ، كما أمر محمد بن رقية التلمساني بالكتابة عن الحملة التي شنتها إسبانيا على الجزائر سنة 1775م ، المشهورة بحملة (أوريلي) فتناولها هذا المؤرخ في تأليفه المعروف بعنوان: "الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة"[3].

كما قيد بن سحنون الراشدي أطوار الفتح وما يتعلق به من أخبار وهران والقطر الجزائري في قصيدة " الثغر الجماني " ، وخلد من خلاله مآثر الباي محمد الكبير إشادة بمكناته وحبه للعلم والعلماء ، ويقول في ذلك :(... الحمد لله والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم... قصدت بذلك تخليد مآثره ، وتدوين بعض محامده ومغافره ، فقد أسدى للإسلام يدا بيضاء توجب له الّإحسان من كل إنسان ، وتقتضي له الشكر من الأخيار وتعيب من عاب مادحه بالاشتغال بذكر محاسنه ... وكيف يعاب من مدحه، وهو الذي وجد مآثر الدّين داثرة فأقامها، وعين الحور متيقظة فأنامها، وحقوق الضعفاء ساقطة فأثبتها، ومنابت الأمن محصودة فأنبتها ومدارس العلم دراسة فأحياها، وهمم الأوائل ذاهبة فأتبعها حتى أعياها ... وقد سميت هذا الصوان المحتوي على لبابه والمليح المشتمل بثيابه:" الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني "[4].

أما في الشرق إهتمّ صالح باي بالعلم والثقافة فبنى مدرسة بجانب جامع سيدي لخضر بقسنطينة ومسجدا بعنابة وقرب إليه العلماء ورجال الدين والفقهاء حيث خصص للمعلمين والفقهاء والأئمة أجورا سنوية وخصص الغرف لسكن الطلبة ويذكر العنتري أن صالح باي " في عام 1789 بنى مدرسة بجوار جامع سيدي لخضر بقسنطينة ومسجدا بعنابة واهتم بالتعليم وقرب إليه العلماء،

[1]- أحمد الراشدي: المصدر السابق، ص 14.

[2]- أحمد بن هطال التلمساني: **رحلة الباي محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري**، تح :محمد بن عبد الكريم ،عالم الكتب، ط1، القاهرة، 1996م،ص25.

[3]- محمد بن رقية التلمساني: المصدر السابق، ص 26.

[4]- أحمد الراشدي : المصدر السابق ، ص ص98-100.

ورجال الدين، والفقهاء أمثال المفتي الحنفي الشيخ عبد القادر الراشدي، والقاضي الحنفي شعبان بن جلول، والقاضي المالكي الشيخ العباسي وتوفرت في عهده ... ثلاث عشر زاوية إلى جانب الكتاتيب القرآنية الكثيرة، وأولى اهتمامه بالتعليم الديني، وغيره، وخصص للمعلمين والفقهاء والوعاظ، والأئمة أجورا سنوية قارّة من اموال الأوقاف الإسلامية التي اهتم رعايتها وبصيانتها[1].كما اهتم صالح باي برعاية مؤسسة الاوقاف التي كانت قبله تعاني الاضطراب والفوضى والإهمال الذي تسبب ضياع عوائدها وإتلاف أملاكها وكلف القاضي الحنفي عبد القادر الراشدي وكان لها الأثر الكبير في تمويل العملية التعلمية[2].

وما أورده الورثيلاني في رحلته وأثناء دخوله بسكرة حيث وصف حال الناس مع المساجد إذ يقول "...**والمسجد في غاية السعة وإتقان البناء إلا أنه قل عامروه وضعف ساكنوه فلا ترى فيهم مدرسا ولا فقيها ولا قرائا مع أن هذه المدينة من أعجب المدن وأجمعها لمنافع كثيرة مع توفر أسباب العمران فيها**"[3] وفي موضع ومن خلال وصفه لقرية قريبة في الضواحي يصف كذلك حال المسجد إذ يقول " ... **ولما دخلت مسجدا لم أجد فراقا ولا مدرسا سوى رجل واحد متى يقرأ لوحه وهو ملقى أمامه يقرأه على غير أدب ولا استقامة وأخبرني بعض أصحابنا انه وجد رجلا واحدا يسرد البخاري وحده ووقف عنده وقال له رح يا حاج ووجد آخر كذلك ولعمري أن هذا أدل دليل على الخراب**"[4].

إنّ ما تحدث عنه الورثيلاني في رحلته من خلال وصفه لشغور المساجد من الطلبة يعبر عن ذاتية الرغبة في العلم وهو يتحدث عن حالة المساجد الجيدة إذ يعبر العزوف عن التعلم فيها وهو ما يبرئ نوعا ما السلطة من ناحية عدم الاهتمام بالتعليم وخاصة أن التعليم في المدن الداخلية يتم عن طريق المساجد والزويا والكتاتيب ويقول " **وفي مثل ما وقع لنا من التحزن والتحسر ، والتألم والتضجر ، من قلة العلم وأهله ، في مواطن حسنة من محله**"[5]ويضيف سبب آخر من خلال اهمال الوقف ويعتبر دوره أساسي فيدعم التعليم من خلال الانفاق على طلبة العلم وهو ما أثّر

[1]- صالح العنتري: المصدر السابق، ص63.

[2]- ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق، ص248.

[3]- الحسين بن محمّد الورثيلاني: المصدر السابق، ج1، ص117.

[4]- نفسه: ص121.

[5]- نفسه: ص122.

بالسلب على العملية التعليمية ويذكر قائلا"... **غير أن الأتراك استولوا عليها استيلاء عظيما وما كان من المدارس والأحباس التي لم توجد في الأمصار هي في أيديهم يأكلون منها وينتفعون بها أتم انتفاع كالأملاك الحقيقة المباحة بل هي ليست لهم ولا أنهم من أهلها بل لما تمردوا وطغوا جعلوا جميع الخطط الشرعية لهم ظلما وعدوانا وهذا والعياذ بالله سبب اندراس العلم وأهله من كل وطن يوجد فيه ذلك**"[1]. ويعزو أبو القاسم سعد الله هذا القصور العلمي كذلك إلى سيطرة التصوف والروح الدينية السلبية لأن فن التاريخ والاخبار منسوب عندهم إلى السير ومتصل بالآدب المجون"[2].

[1]- الحسين بن محمّد الورثيلاني: المصدر السابق، ج1، ص142.

[2]- سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب السلامي ، ط1، ، بيروت، 1998، ج2، ص332.

## المبحث الخامس: العمـران

اهتمام العثمانيين بالبناء والتشييد لم يكن حديثا، وبداية ذلك ظهر بعد تفجير حصن البنيون من طرف خير الدين شيّد كاسر الأمواج الذي يربط وبناء ميناء ومحصّن "... جمع الصخور القلع لبناء كاسر أمواج يربط بين القلعة والميناء، وبهذا الشكل تمكنّا من بناء محمي وجميل لمدينة الجزائر"[1]، فشيّدت المساجد والقصور والمدارس.

ويذكر الورثيلاني من خلال رحلته واصفا المآثر العمرانية إذ يقول"...**ولأن مادة البحر في الجزائر أوسع من مادة البر وعلى تقدير وجود الأموال فقد صرفها أهلها في شهوات أنفسهم كالملابس والمآكل والمشارب بل بنوا الحصون بها والأبراج والأسوار والثغور وأقاموا العساكر والنوبات في كل محل مخوف كثغر بجاية وجيجل والقل وبونة وغير ذلك مما يحتاج إليه الحفظ من العدو كذلك المحال التي طغت فيها العرب وزاغت فيها أهل البدو كتبسة وزمورة وبسكرة وحمزة وبوغني وسبا وكذا ثغور المغرب أمدهم الله بمدده وأيدهم بجنوده ونصرهم على العدو برا وبحرا وجوفا**"[2].

ويصف المساجد والبنى التحتية في قسنطينة قائلا " ... **أيضا وعليها سور كبير وفيها أبواب ثلاثة باب الوادي وباب الجابية وباب القنطرة وفيها بويب صغير يخرج منه الآدمي وفيها أسواق كثيرة ودكاكين طيبة ومساجد للجمعة نحو الخمسة وبعضها في غاية الإتقان كمسجد الباشا في طرابلس وأظن أن صانعهما واحد وهذه المدينة مبنية على كهف وجرف عظيم يكاد من سقط منه أن يهلك بل يموت قطعا وفيها قصبة عظيمة وعسكر من الترك بقدر حالها وباي سطوته عظيمة وحاله كبير وعساكره كثيرة تنفذ منها للجزائر أموال عظيمة**"[3]

أما العنتري فيذكر مآثر صالح باي العمرانية قائلا " **وفي عام 1789م بنى مدرسة (الكتانية) بجوار جامع سيدي لخضر ومسجدا بعنابة ... وتوفرت قسنطينة على خمسة مساجد كبرى، وبيعين مسجدا صغيرا، وثلاثة عشر زاوية، إلى جانب الكتاتيب القرآنية الكثيرة**"

---

[1]- مجهول: المصدر السابق، ص 136.

[2]- الحسين بن محمّد الورثيلاني: المصدر السابق، ج2، ص344.

[3]- نفسه: ج2، ص343.

أما من ناحية البنى العسكرية فيضيف قائلا "... **بناء برج الفسقية ... فهناك 28 سوقا وسويقة و21 سباطا (ممر تجاري) و7 تريعات لصناعة النسيج، و3 رحبات لعض السلع، و3 أفران لصناعة الخبز، و27 مطحنة للحبوب**" أما من ناحية الاهتمام بالموانئ يذكر كذلك " **اهتم بالتجارة الخارجية فأصلح موانئ : عنابة، القالة، وسكيكدة وسطورة، والقل التي تفد إليها السفن والمراكب التجارية الأوروبية... كذلك اهتم بإصلاح جسر القنطرة ... لم يهمل صالح باي عمران مدينة قسنطينة، وتجميلها، فجمل حي سيدي الكتاني وبنى إلى جواره منزله الخاصة قرب الجامع والمدرسة** "[1]

أمّا الشريف الزهار فيشيد بمآثر الداي محمّد عثمان من مجال العمران قائلا " **وله مآثر حسنة، منها بناء عدّة أبراج للجهاد، أولها برج سردينة والبرج الجديد، وبرج رأس عمار وكان أهل البلاد يذهبون و يخدمون هناك بأنفسهم يبتغون بذلك وجه الله ... وهذا الباشا هو أول من صنع اللنجور... فمن حسنات هذا الباشا أعاد بناء ذلك المسجد العتيق وجدده أحسن تجديد**[2].

وبعد فتح وهران الثاني يذكر ما قام به الباي محمد الكبير بعض أعماله ويقول "... **وفي اليوم الثالث أذن للناس بتعمير المدينة، فكان ابنه يشرف على توزيع المنازل عليهم وفي اليوم الرابع ركب البحر لتفقد برج المرسى ثم رجع واشتغل بالبناء والتعمير ...فبنى المساجد والمدارس ... عمّر وهران فأحي تجارتها وأنعش الحرف والصنائع فعظمت على سائر أمصار المغرب**"[3].

إنّ الباحث في تاريخ الجزائر الحديث وبالرغم من كثرة المصنّفات غير أنها لا تهتم بالتاريخ ، إذ تشير في قليل من الأحيان الى دراسة الأمور السياسية والاقتصادية والخوض في مجالات الحكم ووصف الاحداث التاريخية، حيث تتسم بالظرفية في تناولها للمادة التاريخية ولم يهتم العلماء بعلم التاريخ فانشغلوا بالأعلام والآداب والتراجم والسير ولعل ما ذكره الورثيلاني خير دليل على ذلك من خلال رحلته فيعلّق على هذه القضية قائلا " **لا سيما أهل بلادنا فإن علم التاريخ منعدم فيهم وساقط عندهم فيحسبونه كالاستهزاء أو اشتغالا بما لا يعني أو من المضحكة المنهي عنها فترى المتوجه منهم إلى الله يرى الكلام فيه مسقطا من عين الله تعالى. نعم ليس من علم يذكر إذ لا**

[1]- صالح العنتري: المصدر السابق، ص ص 64-65.

[2]- الشريف أحمد الزهار: المصدر السابق، ص24.

[3]-محمد أبي راس الناصر: المصدر السابق، ص ص 39-40.

**طائل فيه أصلا**" و يبدي نصائحه للاهتمام بعلم التاريخ فيقول "... **فمرتبة العلماء تزيد وتنقص بعلم التاريخ وهذا العلم يوجب للإنسان قوة في المحاسن وضعفا في القبائح وبه تعلو الهمة باتصالها بالمعالي من الأمور وتدنو بسفاسفها وأكثر القرآن من هذا العلم**"[1]، ويحذو حذوه في هذه القضية كذلك أبي راس الناصري ويصف زمانه بتعطل فنون الآداب فيه ويصف نفسه أنه يساهم في إحيائها بما فيها التاريخ فيقول "... **إني في زمن عطلت فيه مشاهد العلم ومعاهده ودست مصادره وموارده وقلبت دياره ومراسمه... واستوطن فحولها زوايا الخمول**"[2].

[1]- الحسين بن محمّد الورثيلاني: المصدر السابق، ج2، ص ص 241-242.

[2]- محمد أبي راس الناصر: المصدر السابق، ج2، ص32.

# الفصل الثالث

## نظرة الكتابات الأجنبية للوجود العثماني

## في الجزائر

المبحث الأول : النشاط البحري (القرصنة)

المبحث الثاني: الأسرى

المبحث الثالث: الحكام والمحكومين

المبحث الرابع: القضاء والأمن

المبحث الخامس: المال العام والضرائب

تعددت وتنوعت الكتابات والمذكرات التي صورت لنا اوضاع الجزائر في الفترة العثمانية من كتب الرحالة ،يوميات الأسرى، أو كتابات ممثلي الديبلوماسية ومذكرات القناصل الذين عاشوا في الجزائر ، وعرّفوا بها وعن حكامها وسكانها الكثير من الحقائق ، وتبرز من خلال ذلك نظرتهم الى الوجود العثماني في الجزائر ، حيث تركوا رصيداً ثقافياً هاما من الكتابات الزاخرة ، والتي الفت لهذه الحقبة الهامة من التاريخ الحديث اختلفت أهدافها ومراميها.

## المبحث الأول: النشاط البحري ( القرصنة )

تناولت أغلب الكتابات الغربية موضوع النشاط البحري حيث أن العديد من المؤلفات تعرضت لهذا النشاط ونجد الكثير ممن اهتموا بالكتابة عن تاريخ الجزائر خاصة الفرنسية منها يغلب عليها تناول القضايا الجانبية والموضوعات الهامشية ، وكان الاهتمام منصبا على ما يسمونه "بمشاكل القرصنة وعلاقة الجزائر بالدولة العثمانية ، الأسرى الحملات البحرية العدائية وغيرها، كما أدت هذه النظرة إلى تجاهل الوجود التاريخي للجزائري ، واعتبارها منطقة فراغ حضاري تفتقر الى وجود شعب متماسك، أمة متكاملة، فالجزائر بهذا المفهوم كان ينظر إليها على أنها جزء من الغرب اغتصب وافتكت من طرف الشر في مناسبتين الأولى عند الفتح الاسلامي، والثانية مع ظهور الأتراك وتأسيس إيالة الجزائر (ق16)[1].

ويذهب اندري جوليان بعيدا ويكاد يصف سكان المغرب باللقطاء[2] حين يقول "إن افريقيا الشمالية الفرنسية، التي تشمل المغرب، والجزائر، وتونس، ليست لها حالة مدنية دقيقة"[3]، ففي هذا الصدد يرى المؤرخ يحي بوعزيز : "أن على الباحثين المؤرخين الجزائريين غربلة الكتابات الفرنسية وتمحيصها والتدقيق في محتوياتها ومقارنتها بالمؤلفات المحلية وعدم الاعتماد عليها كليا كما لا يمكن الاستغناء عنها "[4].

---

[1]- حنيفي هلايلي: المرجع السابق، ص104.

[2]- مولود قاسم: **شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830م**، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، د ط، الجزائر، 2013م، ج1، ص 11.

[3]- جوليان شارل أندري : المرجع السابق، ص، 14.

[4]- جيجيك رزوق: **اهتمام الكتابات الفرنسية بالمخطوطات المحلية المجلة الافريقية نموذجا** ، مجلة رفوف العدد 5 ،مارس 2015 ص 156،

**أولا: نظرة بعض الكتابات الغربية المتحاملة**

وردت القرصنة في العديد مؤلفات المؤرخين والكتاب الاوروبيين ومن بين هذه الكتابات نجد الأب دان الذي يعد مصدرا مهماً من طرف الكتاب الغربيين، والمؤرخ الفرنسي دوغرامون وغيرهم حيث تعرضوا إلى وصف الجزائر في كتاباتهم ويقولون في هذا الشأن:

يذكر الأب دان"كان البحر دائما مغطى بالقراصنة الأتراك والبربر الذين قاموا بتخريب عظيم وقسوة لا تصدق"[1].

ويصف غرامون الجزائر قائلا "لقد ظلت الجزائر طيلة ثلاثة قرون رعب النصرانية وكارثتها، فلم تنج واحدة من المجموعات الأوروبية من البحارة الجزئريين الجريئين "[2]، ويضيف كذلك"... إن سياسة القرصنة التي سلكتها الجزائر أمرا حيويا لوجودها واستمراريتها، فهي دولة لا تتوفر لا على التجارة ولا على الصناعة ولا على الزراعة ..."[3]، حيث يبدو أن صاحب الكتاب لم يبحث كثيرا معتمدا فقط على المصادر الأوروبية، دون الرجوع الى المصادر المحلية.

أمّا رجال البحرية فيصفهم بقوله" لقد اخذت جرأة الرياس الجزائريين تتطور وتزداد باطراد ، وهكذا حجزوا على عباب المحيط الأطلسي السفن الاسبانية ، المسلحة تسليحا ثقيلا ...كما فاجأوا أكثر من مرة سكان شاطئ خليج غاسكونيا وسواحل بحر المانش ، وبحار انكلترا ... ما كان أحد يستطيع أن ينجو من ملاحقتهم"[4]

ويقول المؤرخ الفرنسي هانري غارو"إن القرصنة الإسلامية المنظمة في البدئ كدفاع مشروع للرد على الفرسان النصارى ، الذين ظلوا يتصرفون تصرفات الحروب الصليبية ، قد تحولت في مملكة الجزائر إلى مؤسسة دائمة ، وريعها يصب في ميزانية الدولة، ويضيف "... لقد كان من النادر أن يحرز النصارى نصرا كبيرا عليهم، وذلك أنهم بمراكبهم السريعة المنخفضة التي تخفى عند الأنظار في البحر، كانوا

[1] -Le pierre Dan : **Histoire de Barbarie et de ses Corsaires** ,chez pierre rocolet, Imprimeur & Libraire ordinaire du Roi, second Édition ,paris , 1646, P19.

[2] - Henri Delmas Grammont **: Histoire d'Alger sous la domination turque (1515-1830)** , Ernest Leroux ,éditeur, France ,1887, p129.

[3] - ibid.: p210.

[4] -ibid.: p129.

يطفون فجأة، ويختفون عند اللزوم بنفس المفاجأة والسرعة اللتين يبرزان بهما للعيان... وبذلك كانوا أعداء يصعب تحاشيهم، ويكاد يكون من المستحيل اللحاق بهم"[1].

ويقول المؤرخ إدوارد كاط " ... وكان الهولنديون ، والانكليز ، وأناس من جميع الدول ، أكثر شراهة ووحشية في قرصنتهم من الجزائريين ، بحث أصبح البحر المتوسط بؤرة لقطاع البحر"[2].

ويضم المؤرخ الألماني يوري سيميونوف (juri semjonow)صوته لهؤلاء فيقول:

"ليس الفرنسيون فقط هم الذين كافحوا القراصنة الجزائريين ، بل جميع الأمم ، بدون أي استثناء كافحت هذا الوباء البحري : كافحه الانكليز ، والهولنديون ، والاسبان الجنويون ، والنابليون ولكن كفاحهم ظل بدون جدوى ... خلال القرن السابع عشر قنبل الانجليز الجزائر سنوات 1622،1665،1672؛ والفرنسيون سنوات 1661، و1665،1682،1685،1688"[3]

معظم الكتابات والمؤرخين يصفون البحارة الجزائريين بنظرة الحاقد والناقم بالرّغم من أن القرصنة كانت منتشرة مارستها معظم الدول ومنها من اصدرت تراخيص مثل فرنسا وهولندا لمزاولة هذا لنشاط ومهاجمة السفن الاسبانية ،مابين 1606-1609م ، و تعود الغنائم للخزينة ، منها نصيب الدولة مقدر ب 20% ، و 10% للطبقة الحاكمة[4] وحتى القراصنة الإنجليز نشطوا خلال هذه الفترة بشدة، ففي سنة 1600 ، كان الداي مسرورا ومرحبا بأحد القراصنة الذي يدعى قريفون (Griffon)، بعد أن جلب الى المدينة غنيمة تحتوي مواد وسلع ،تخص اعدائهم الاسبان... أيام قليلة بعد ذلك ظهر، قبطانين إنجليزيين أمام سواحل مدينة الجزائر، وادعوا أنهم من لندن، محملين "بالصوف والخشب" والبرازيلي، حيث استقبلهم الجزائريين بحفاوة.[5]

---

[1] - Henri Garrot : **Histoir générale de L'Algérie** ,imprimerie p. crescenzo, voutes bastion nord ,alger,1910, pp 380-382.

[2]- مولود قاسم: المرجع السابق، ص 73.

[3]- نفسه: ص 75.

[4]- Alexander de Groot.H: **Ottoman North Africa and the Dutch Republic in the seventeenth and eighteenth centuries**, Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, N°39, Aix-en-Provence, 1985 p.131.

[5]- قرباش بلقاسم: **الأسرى الأوروبيون في الجزائر خلال عهد الدايات (1671–1830)**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر ،كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ،2015-2015،ص60.

حيث نجد الكثير من الكتابات التي كان أصحابها من المنتسبين الى الجمعيات اللاهوتية وجمعيات الافتداء دورا كبيرا في تأجيج روح الكراهية والانتقام ، فالأب دان يركز في كتابه تاريخ الدول البربرية وقراصنتها واصفا أتراك الجزائر "... **ليسوا سوى قراصنة لا عهد لهم ولا صدق**..."[1]

ويصف غراماي [2] البحارة بقوله " **إن هؤلاء نهاب البحر مثلهم كمثل الحيوانات المتوحشة ينقضون على الغنائم وهم يصرخون بكل شراسة ثم يستولون على السفينة وما احتوته طمعا بالثروة حتى لو كانت السفينة لإحدى الدول المرتبطة بمعاهدة معهم**"[3]، ووصفهم كذلك ويليام شالر[4] بنظرة المنتقد والمستاء والمتذمر من سياستهم القائمة على القرصنة بقوله " **والجزائريون الذين يقوم نظامهم السياسي على القرصنة يمنحون لأنفسهم حقّ اعلان الحرب كلّ دولة مسيحية لا تشتري رضاهم بمعاهدة**[5]، وذهب لأكبر من ذلك حين وصف الجزائريين **بالقراصنة وقطاع الطرق الذين يدفعهم غرور البربرية والجهل لاحتقار الفنون والعلوم وما طرأ على المجتمع من تقدر وتحضر، لا يستحقون التفاتا من التاريخ ... شاء أن يندمج هذا البلد في نظام أوروبا السياسي**".

ويضيف كذلك إذ يقول" **حاق الهوان بالقراصنة وركعوا على ركابهم، ولم يكن على المنتصر ، إلا أن يبدي إرادته لكي يتخلص العالم من هذا الوباء**"[6]، حيث أن شالر يشيد بالحضارة والانسانية الاوروبية غير أنه يتمنى إبادة الجزائر ويصف سياستها بالوباء، اقترح على الدول

---

[1] -Le pierre Dan :op.cit. P6.

[2]- **جين بابتست غراماي)** : (1635-1579م) ولد بلبياك،( ألمانيا) يعتبر مؤرخا لجنوب هولندا درس القانون وأصبح أستاذا بجامعة ليفن) هولندا، واشتغل لاحقا كمؤرخ للأرشدوق ألبيرت السابع، وعند ارتحاله نحو شمال افريقيا تم أسره من قبل بحارة الجزائر 09 ماي 19 -أكتوبر 1619 ، وبعد عودته نشر مذكراته حول فترة أسره بالجزائر؛ داعيا فيها لتحرير أبناء وطنه القابعين في الأسر. **ينظر:** قرباش بلقاسم: المرجع السابق، ص116.

[3]- عائشة غطاس: **نظرة حول تقييم بعض المصادر الغربية لسياسة الجزائر الخارجية خلال العهد العثماني**، مجلة الدراسات التاريخية العدد 5،الجزائر، 1988 ،ص 130.

[4]- قنصل أمريكا في الجزائر مابين 1816-1824.

[5]- وليام شالر : **مذكرات قنصل أمريكا في الجزائر(1816-1824م)**، تعر، تع ، تق ، إسماعيل العربي، ش و ن ت ، الجزائر 1982،ص 63.

[6] -- نفسه: ص 127.

الأوروبية احتلال الجزائر، وهذا بعدما كشف نقاط ضعف نظامها وحدد نقاط ضعف قوتها وقابليتها للاستعمار، وهنا يبين الحقد الدفين للجزائر وهو ما يوضح الصبغة الدّينية للعداء تجاهها .

ويصف أيضا مالتسان الجزائريين بقوله "... **ولكنهم مارسوا القرصنة الى ابعد حد ... نحو جيرانها في البحر الأبيض المتوسط ، فأصبح لزاما عليهم أن يدفعوا لها الإتاوة ، وإن رفضت دولة من الدّول دفع هذه الضريبة المهينة ، فعليها أن تتوقع أن ترى أبنائها يقادون إلى عبودية المسلمين**"[1]

ويؤكد الانطباع الذي تركه العالم شاو عن شعوب المغرب العربي"... **رغم انهم يقومون بأعمال تجارية عديدة .... الا أنهم لا يعيشون إلا بالقرصنة**"[2].

ويطلق المستشرق الفرنسي غوتيه إيميل فليكس Gautier Emile Félix في كتابه مصطلح القرون المظلمة في الجزائر مايلي" ... لقد أصبحت الجزائر في القرن السادس عشر أوجاقا حيث السلطة المطلقة فيه للرياس والانكشارية، فحين يشاركهم الأهالي بنشاط وشهوة في عمليات اللصوصية البحرية ..."[3].

وعليه فإن معظم الكتابات الغربية تستقي نظرتها من المصادر الغربية ،شهادات الأسرى، وتقارير القناصل ومنظمات فداء الأسرى التي كان يديرها القساوسة، دون العودة الى المصادر العربية التي تعد طرفا مهما في كتابة هذا الجزء الجنوبي من الحوض الغربي للمتوسط والملاحظ أن معظم هذه الكتابات جاءت متشابهة في أطروحاتها.

ويرى جون وولف أن كل من يرغب في كتابة تاريخ إيالة الجزائر التركية سيكون مدينا كثيرا للأشخاص الذين عاشوا في الجزائر وكتبوا عن تجربتهم أمثال دياقو دي هايدو(Haédo) ، ومرمول(Marmol) لنقص المؤلفات عن هذه الفترة بالإضافة لعدد كبير من المؤرخين المسيحيين الذين تركوا لنا كتابات عن ملوك إسبانيا، ويرى كذلك أن بعض الكتب الغربية التي أبدت تصورا

---

[1] - فون مالتسان : **ثلاث سنوات في شمال غربي افريقيا** :تر، أبو العيد دودو، ش و ن ت ، الجزائر1976ج1،ص47.

[2]– جون.ب.وولف : المرجع السابق، ص155.

[3] -Moulliescaux-L **:Histoire de L'Algérie** –texte de J. Lassus, G. Marcais, p.Boyer, Les Production de paris, 1962, p 187.

سلبيا حولها ويقول في هذا الشأن "... ألّفها أناس ليسوا بالضرورة قد زاروا الجزائر فعلا، حاولوا أن يصوروا الأوضاع الجزائرية " ويضيف كذلك "... إن الذين زاروا الجزائر يختلفون من حيث تكوينهم وتجاربهم فانهم كانوا يشتركون في الأحكام المسبقة ، ما داوموا جميعا كانوا مسيحيين ..."[1]، وفي العديد من المؤلفات كانت توصف الجزائر بأنها عش ووكر للقراصنة وكأنها لم تكن عبارة عن دولة ذات سيادة وكيان سياسي مستقل[2].

فالجزائر في مؤلفاتهم حجر اللصوص وعش الصعاليك وجحيم النصارى وجمهورية قطاع الطرق، وحكام البلاد غيلان إفريقيا، وهم أهل استبداد معدومو الأخلاق، همهم الوحيد هو طلب اللذة ونهب الأموال ، وأما رياس البحر وعظماء البحرية فهم متعطشون للدماء وهم رعاع القوم وحثالة الأتراك وهم القراصين الناهبون[3].

**ثانيا: نظرة بعض الكتابات الغربية المنصفة:**

بالرغم من أن الكتابات الأجنبية اعتمدت في طبيعتها على تشويه تاريخ الجزائر، غير أن ذلك لم يمنع من ظهور بعض الأقلام والأفكار المعتدلة التي كيفت العمل البحري حسب الطبيعة الموجودة وحسب دراسة ونقل حقائق تاريخية من خلال مذكراتهم أو مؤلفاتهم وفي هذا السياق نجد الكثير من هؤلاء المؤرخين الذين تعاملوا، وبعيدا عن الذاتية، والإيديولوجيات وقدموا صورة "أنها أقرب ما تكون إلى الاعتدال والموضوعية والنظرة المتزنة بالمقارنة مع باقي الكتابات المعاصرة لها"[4].

ويؤكد المؤرخ الفرنسي أرنيست مارسيار (Ernest-Mercier) لولا النظم الذكية لما مكث العثمانيون مدة ثلاثة قرون بقوات قليلة جدا".[5]

---

[1]- جون.ب. وولف : المرجع السابق ، ص148.

[2]- نفسه: ص ص 121-122.

[3]- مولاي بلحميسي: **موقف المؤرخين الفرنسيين من الجزائر في العهد العثماني**، مجلة الدراسات التاريخية، الجزائر1988،عدد05،ص120.

[4]- غزالي عبد العالي :نقادي سيدي عبد الله: **صورة الجزائر في الرحلة الغربية خلال العهد العثماني رحلة هابنسترايت** ، الحوار المتوسطي المجلد التاسع ، عدد01، مارس 2018، ص111.

[5]-Ernest Mercier :**Histoire de Constantine** ,1éd ,Gustave Jérôme Et -f-Biro, Imp, Edi ,Constantine,1903,p-p214-2015.

ويقول برودال" إن الحروب الإسبانية في إفريقيا أخذت صبغة صليبية حقيقية، وذلك للدور العظيم الذي قام بأدائه رجال الكنيسة الكهنوت، فالكنيسة بإسبانيا قد ساهمت بكل ما لديها من حماس ومن جرأة في هذه المعركة الخاصة بها"[1]

ويشير كذلك الأستاذ كاط في كتابه تاريخ الجزائر :"ولم يكن للإسبان من هم إلَّا نقل الحرب إلى إفريقيا، بعد أن كانت نفس البلاد الإسبانية مسرحاً لهذه الحرب طيلة قرون، وإرغام العرب من أهل إفريقيا على اعتناق دين المسيح بواسطة السلاح"، وأصرح من ذلك ما يقوله المؤرخ الشهير بربروجر في كتابه عن صخرة مدينة الجزائر: " إن الراهب خيمينس يستحق كل تقدير؛ من أجل التفكير على الأقل في إنقاذ شمال إفريقيا من الوحشية الإسلامية؛ لكي تنتصر فيها المسيحية والحضارة"[2].

وكتب الروائي الانجليزي توماس هاسلتون يروي أن " غارات البحارة المسلمين ضد الملاحة المسيحية، لم تكن نتيجة العنف الديني أو رغبة في الغنائم، هو بسبب أنّ الاسبان يجهزون سفنا ويذهبون إلى سواحل شمال إفريقيا وفي حالة إمساكهم لأي رجل من هذه الأمة يصبح عبداً على السفن الإسبانية، ولهذا اجتهد الجزائريون لملاحقتهم على أرضهم إذا سمحت لهم الفرصة وأخذوا مسيحيا فإنهم يستعملونه بطرق مرغوبة"[3].

ويرى قود فراي من خلاله كتابه الأسطورة البربرية منتقدا الكتابات الغربية اللاموضوعية " أن الجزائر لم تكن في يوم من الأيام وكراً للقراصنة ، وإنما كانت منطقة تنطلق منها الحملات العسكرية على الدول التي لم تكن في حالة سلم مع المنطقة"[4] ، وكذلك يصف القنصل الدانماركي ريهبايندر أن الخوف من البلاد بني عن طريق الرهبان والبعثات الكاثوليكية من خلال كتابات ملبسة تحت عناوين علمية مزيفة، وجاء في إحدى محتوياته "... **أن كتابات الرهبان المبتدئين قذرة وممزوجة بالحقارة وكتابها فعلوا كل شيء لوصف السلوكيات الدينية والحياة اليومية الطبيعية لسكان**

---

[1] -F. Braudel: **La Méditerranée et le Monde Méditerranéen à L'époque de Philipe 2**, 5 éme édition, A.Colin, Tome2,1982, p 532.

[2]- المدني أحمد توفيق: المرجع السابق، ص 73-74.

[3]- قرباش بلقاسم: المرجع السابق، ص116.

[4]- عديدة الشارف: **الكتابات الغربية حول تاريخ الجزائر خلال فترة التواجد العثماني 1515-1830م**، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والانسانية ،العراق ، ع 39، 2018 ، ص456.

**البلد بنوع من الاشمئزاز والنفور والدناءة..."**[1]، وميز لي روا بين مسؤولية الحكومة ومسؤولية بعض البحارة الخواص في أعمال القرصنة وهو ما عبر عنه بمايلي " إن اعمال القرصنة لا تمارس إلا ضد الأعداء، واذا تضررت أحياناً بعض الدول الصديقة منها فهذا يرجع إلى تصرفات بعض البحارة الخواص ولا مسؤولية للحكومة في ذلك "[2].

أما عن اعتراض السفن يذكر دي بارادي وصفاً آخر مغاير في حال "**سلمت سفينة العدو نفسها دون مقاومة فلا يقع أي نهب، ولا يحق للرايس أن يبيع شيئا من محتوياتها، وعليه أن يقودها إلى الجزائر سوءا بنفسه أو يوكل المهمة إلى أحد رجاله، فعندما ترسو السفينة بميناء الجزائر يقع ضبط كل ما فيها ويحصى سواء بضائع أو أسرى**"[3]،

ويصف ويليام سبنسر تطور القرصنة حيث يقول "... هو في جوهره اعتراض القباطنة- الخارجين عن القانون بسفنهم للطريق التجاري- لأي سفينة مسالمة بقطع النظر عن العلم الذي تحمله... عن بعض الموانئ الأوروبية وبصورة خاصة موانئ كلمن صقلية وسردينيا وكرسيكا ... معروفة جدا بإيوائها للقراصنة" ويضيف سبنسر أن هؤلاء القراصنة كانوا ينهبون كل السفن ولا يعترفون بأي سلطة يدينون لها بالولاء حيث يقول "يجبون بالقوة من سفن المسيحيين أكثر مما يجبون من سفن المسلمين".[4]، ما أورده سبنسر يعود إلى قبل انضمام الجزائر للدولة العثمانية وهذا دليل قطعي أن القرصنة قديمة قدم التاريخ، ومحاولة ربطها بالجزائر، فيه كثير من الإجحاف، والنظرة الأحادية للمؤرخين الأجانب.

وتقول كورين شوفالييه " القرصنة هي حرب مشروعة تتم واسطة بيان صريح للحرب ... إذ بالنسبة للمسلمين فإن القرصنة قبل كل شيء هي شكل من أشكال الجهاد في البحر ولو أنها تتخذ أحيانا طابع الحروب الصليبية من جانب المسيحيين"[5]

---

[1]- قرباش بلقاسم: المرجع السابق، ص129.

[2]- عديدة الشارف: المرجع السابق، ص 457.

[3] - Venture De Paradis: **Alger Ou 18eme Siècle**, Grand Alger, Livres Alger, 2006 ,P64 .

[4]- وليم سبنسر: **الجزائر في عهد رياس البحر**، تع، عبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر، 2006، الجزائر، ص33.

[5]- كورين شوفالييه: **الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر 1510-1541م**، تر. جمال حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعية، د ط، الجزائر،2007م، ص ص 49-50.

فنشاط القرصنة لم يكن سوى نشاطاً عادياً في زمانه كما يعبّر بذلك أحد المؤرخين الغربيين "ووجود هذه العناصر (يعني بهم الأسرى) مرتبط بظاهرة انتشرت في المتوسط لذلك العهد، وهي الحرب السّباق، والقرصنة الحقيقية ... فإلى نشاط القرصنة يرجع إذن وجود العبيد في البلاد المسيحية، كما كان في البلاد الاسلامية، أولئك العبيد الذين يصبحون بدورهم موضوع مبادلات ومتاجرة"[1].

[1]- سلفاتوري بونو: **وضع الجاليات الأوروبيّة في المغرب العربي قبل الاستعمار**، مجلة الأصالة، إصدار وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر 1975، العدد25، ص ص 144،145.

## المبحث الثاني: الأسرى

أغلب الكتابات التاريخية عن تاريخ الجزائر العثمانية، والتي تميزت بالتنوع والغزارة فمنها الإسبانية، والفرنسية، والإنجليزية، والإيطالية، تعود بدرجة كبيرة لأشخاص كانوا عبارة عن أسرى[1] دونوا تجاربهم، حيث غطت هذه الكتابات والروايات جانب عديدة أغفلتها المصادر المحلية، واستغلت هذه الكتابات بطريقة تخدم توجهاتهم كون الجزائر اكبر مناوئ لهم في الحوض المتوسط الذي شهد صراعا داميا بداية من القرن السادس عشر (16)، فقضية الأسرى والرق قديمة قدم التاريخ ، وطالما شكلت هذه القضية نواة العلاقات في التفاوض بين الدول.

### أولا: العبودية بين الحقيقة والدعاية

نجد أنّ معظم الكتابات الفرنسية أهملت الجانب الحضاري للفترة العثمانية في الجزائر ولخّصت صورتها في أعمال القرصنة واللصوصية استعباد المسيحيين.[2]، و لخّص القس هايدو « Haedo » معاناة الأسرى المسيحيين بمدينة الجزائر في هذه العبارات: "**يعيش الأسرى في الجزائر البربرية حياة بائسة، أقسى من أي حياة أخرى في العالم، حيث يعاملون معاملة لا إنسانية، إننا هنا لا نجني إلّا الأشواك التي تؤلمنا و تدمينا، نحن رعايا بائسين، لا نحيى حياةً و إنما بلاء ... فهذه الوضعية أفقدت بعضنا الفرحة، و البعض الآخر الهدوء والسكينة وبعضهم الثروة أو الصحة، ونزعت منهم الشرف والكرامة، والشجاعة، والشهرة ... وفي بعض الأحيان تحدث كوارث يذهب ضحيتها أصدقاؤنا ومنهم من يفقد إخوانه، آباءه و أبناءه ... إن الأسر قدر صعب ومشؤوم**"[3].

---

1- تعرف الموسوعة الإسلامية **العبد**( **abd** ) على أنه المصطلح الاعتيادي لكلمة (SLOE) ، عبد في اللغة العربية حيث تخص كثيرا الرجل ؛ أما المرأة فتلقّب بالأمة وكلا المصطلحين يأخذان جذورهما من اللغة السامية القديمة ، وتوظف اللغة العربية الكلاسيكية فكرة " العبد " على كلا الجنسين ( الرجل و الأنثى )، أما في الجمع فيوظف مصطلح الرقيق، حيث لا يوجد مصطلح كهذا في القرآن الكريم، ومن جهة أخرى فإن القرآن استخدم مصطلح " رقبة."**ينظر** : قرباش بلقاسم: المرجع السابق، ص50.

[2]- مولاي بلحميسي: المرجع السابق، ص71.

[3] - HAEDO (Fray Diego de): **De la captivité à Alger**, trad. par Moliner - Violle, Alger, imprimeur topographie Adolphe Jordan, 1911, pp.13-15.

من والواضح أن كل كتابات مفتديي الأسرى تتفق في رسم صورة سوداوية قاتمة لواقع الأسرى في مدينة الجزائر؛ "فهم يعاملون كالحيوانات؛ و أجسادهم الهزيلة شبه عارية؛ يتعرضون لمختلف مظاهر الذل و الهوان؛ محرومون من الأكل إلّا بعض قطع الخبز "البسكويت" العفن؛ يقيمون في السجون التي تمثل أماكن القذارة؛ لقد كانوا مكبلين بسلاسل حديدية لا تحتمل، إيمانهم المهدد جعل الكنيسة تخوض غمار الحرب من أجل إنقاذ أرواحهم و حياتهم قبل أن تنهار أمام تعذيب الجزائريين الذي لم يشاهد له مثيل"[1].

ويذكر الروائي الشهير سيرفانتس الذي كان هو نفسه أسيراً، " **أن حالتهم كانت محزنة وبائسة... انها كانت عبودية قاسية وخشنة تطول أثناءها الشقاوة وتقصر فيها السعادة وتتمنع ... انها برزخ الحياة وجهنم هذ العالم** ..."، ومع ذلك تكلم عن كرم ولطف السادة المالكين[2]

نقل لنا "شارل أندري جوليان " صورة عن سوق الرقيق في قوله: "... ثم تساق قطعان البشر إلى السوق حال عودتهم إلى الجزائر ... و يقلب النخاسون الأسرى كما تقلب الحيوانات المعروضة في السوق. و يدققون النظر في أسنانهم و عيونهم و أيديهم و يجسون لحومهم و يضربونهم بالعصا لحملهم على المشي و القفز و التشقلب "[3].و يروى الطبيب اندرهيل بأنه كان قد جرد من ملابسه إلّا ما يستر عورته وعرض للبيبع رفقه " الابل، والبغال، والماعز، والأرانب، والمهاري، والنساء، والرجال والمخلوقات الأخرى إما لإشباع الشهية أو للاستعمال ..."[4]

يبدو أن هذه الصورة ملتقطة من سوق الرقيق " Badistan " الذي قدم وصفًا دقيقًا لتفاصيل نقلا عن ما كتبه بعض الأسرى ، مثل "إيمانويل دارندا Emanuel Daranda " عرضه للبيع رفقة مجموعة من أصحابه، أين كان الشراة يتفحصونهم حيث سألوه عن اسمه، بلده الأصلي،

[1] - BELHAMISSI (Moulay): **Les Captifs algériens & l'Europe Chrétienne (1518 - 1830)**, (ENAL), Alger, 1988. p. 48.

[2]- جون.ب.وولف : المرجع السابق،ص229.

[3]- جوليان شارل أندري : المرجع السابق، ص، 357.

[4]- جون.ب.وولف : المرجع السابق،ص210.

مهنته. كما أمسكوه ليتحسسوا نعومة يده من خشونتها، بغرض التعرف على نوعية العمل الذي كان يمارسه قبل أسره، كما أمروه بفتح فمه لمعاينة أسنانه.[1]

و يركّز الأب دان من خلال كتابه تاريخ الدول البربرية وقراصنتها "... **فالعقوبات والمصائب التي يذيقها الترك المتوحشون للنصارى الذين يستعبدونهم**..."[2]،حيث كلف نفسه مهمة إفتداء الأسرى وتحريرهم من أيدي الجزائريين، كان يجتهد كثيراً لتحريك عواطف جميع القوميات المسيحية لتساهم في هذا العمل، حيث يقول "... **يوجد ما يربوا على خمسة وعشرين ألف مسيحي أسير ... مع ما يزيد عن مئتي امرأة، بعضهم إسبان، وايرلنديين، ويونانيين، وقليل من الفرنسيين ... يشغلونهم في البساتين المحيطة بمدينة الجزائر، والتي تعدّ بنحو خمسة عشر ألف بستان في خدمة الأرض، ويجهدونهم بضربات العصي، ويقدمون لهم وجبات اقلّ من تلك التي يقدمونها لخيولهم**".[3]

ويقول المؤرخ جوزيف مورغان " بكل تعاسة كان من الصعب جدا إنهاء كل هذا ففي القائمة التي طبعت سنة 1689 يوجد 160 سفينة إنجليزية أسرت من طرف الجزائريين بين 1677 إلى 1688 ... ويمكننا الترجيح ما بين 7000 أسير بريطاني بين رجل وامرأة أخذوا للعبودية في الجزائر خلال هذه السنوات"[4]، أمّا الكاتب الأمريكي ماثر كوتن فيصف ملاك العبيد في شمال إفريقيا ب (وحوش إفريقيا) و (قوى الظلام) وأجساد سكانها في صورة شياطين غير إنسانية واصفاً الأكثر رعباً في العالم"[5].

تبدو لنا الجزائر من خلال هذه الأوصاف، و الوصف الذي قدّمه لنا غرامي Gramaye المكان الأكثر وحشية في العالم كما اعتبر العدد الكبير من المسيحيين الأسرى و

[1]- DE ARANDA (Emanuel): **Relation de la captivité et liberté de sieur Emanuel d'Aranda Jadis esclave à Alger**, Edit. 3, Bruxelles, 1662, p13.
[2] - Le pére Dan :op.cit., P121.
[3]- ibid. : P318-319.
[4]– عديدة الشارف: المرجع السابق، ص 454.
[5] -Maepler Paul Michel: **The Barbary Captivity in American Culture**, Early American Littérature, Volume 39,Number 2, 2004,p-p 219-220.

معاملتهم القاسية لهم وشمة عار على الجزائر.[1]، ففي هذه المدينة بالضبط يقول غود فروي GODEFROY يتعرض الأسرى لأبشع صور العقاب و سوء المعاملة التي لم تكن معروفة تقريباً في كل البلدان الأخرى[2].

ففي أوروبا كان أعضاء تنظيمي الافتداء [3]،يتنقلون من مدينة لأخرى يخبرون الناس بحكايات مبالغا فيها ويستعرضون الأرقاء السابقين في مواكب بإسبانيا والتي ذكرها "دو طاسي De Tassy" حيث قدم عرضا وصفياً قائلاً " **محفل مهيب ... بلحاهم غير المحلقة ... بوجوه تعسة... وهم مثقلون بالسلاسل التي لم يوثقوا بها أبدا** ... "[4]،حيث استغلت قضية الأسرى واستثمر فيها الدجالون في أوروبا نفسها وتحدث" جون وولف "عن هذه القضية في الفصل الخاص بالأرقاء بكتابه" الجزائر و أوروبا" مشيراً إلى وجود شواهد تؤكد بأن هناك أيضا دجالين متخفين في زي الرهبان، و ليسوا في الواقع أعضاءاً في تنظيم الفداء و لا في أي تنظيم آخر، و لكن كانوا يستغلون سذاجة الناس و كان الأرقاء الذين يستعرضهم هؤلاء الدجالون يحملون سلاسل أكثر ثقلاً، ويقصون حكايات أكثر فظاعة من أولئك الذين يرافقون أعضاء التنظيمات الشرعية، وكانوا يستغلون الأموال لمصالحهم الشخصية و للأرقاء المزعومين.[5]

أغلب الكتابات بالغت كثيراً في وصف الأسر، وطرق معاملة الأسرى ، ورسم صورة سوداوية على ظروف المسيحيين لتوظيفها في الصراع الديني، ونيل الاستعطاف لجمع أموال لفداء الأسرى أو بدافع الانتقام من الطرف الآخر بعد نيلهم للحرية، خاصة تلك التي كتبها القساوسة ، لكن بالرغم

---

[1] - BEN MANSOUR (Abd El Hadi):**Alger XVIe - XVIIe siècle**, Journal de Jean - Baptiste Gramaye, « évêque d'Afrique », Préface par André Mandouze, Editions du CERF, Paris, 1998 ,pp. 137 - 138.

[2] - GODEFROY, et autres: **Etat Des Royaumes De Barbarie, Tripoli, Tunis, & Alger**, Avec la Tradition de A ROUEN, pour le rachat ou le soulagement des captifs l'Eglise. p. 242.

[3]– (التنظيم التثليثي المقدس وافتداء الأسرى– أو المثلثون) و(تنظيم سيدة الرحمة– أو آباء الافتداء).**ينظر**: جون.ب.وولف : المرجع السابق، ص215.

[4]– نقلا عن جون.ب.وولف : المرجع السابق، ص216.

[5]– جون.ب.وولف : المرجع السابق ، ص216 .

من هذا لم يمنع من ظهور كتابات موضوعية أظهرت نوع من الحقيقة لما تلقوه من معاملة حسنة، حيث انصفت الطرف الآخر.

**ثانيا: التسامح الديني من خلال نظرة الكتابات ذات الطرح المعتدل**

حاول بعض المؤرخين من خلال العديد من المصادر الغربية إعطاء صورة سيئة عن الأوضاع التي يعيشها الأسرى المسيحيون في إيالة الجزائر، وكيف كانوا يستعبدون، ويجبرون على ترك دينهم حيث بالغ معظمهم في وصف المعاملة المرعبة التي كانوا يعاملون بها ؛ لكن هذا لم يمنع من وجود بعض المنصفين منهم، من خلال اعطاء صورة حسنة لهذه المعاملة ووصف أحوال الأسرى، بل حتى من هؤلاء المؤرخين من كانوا أسرى ودونوا مذكراتهم ،أو رحلاتهم، التي كانت عبارة عن شواهد لحقيقة هذه المعاملة .

ويذكر هايدو بعض مما وقف عليه من مشاهد كأسير في الجزائر " **أن الغنائم كانت كثيرة بحيث لا يمكن إحصاؤها... حيث تصبح الأماكن مكتظة أيام الاحتفالات الدينية، ففي بعض الأحيان كان يتوجب إلقاء القداس بالخارج**"[1]، و من خلال الوصف الذي قدمه عن دور، كنيسة أو معبد المسيحيين بالسجن الكبير « Le Grand Bagne » ، أين كان الأسرى المسيحيون يؤدون القداس اليومي و يحتفلون بأعيادهم الدينية «Les fêtes solennelles »

حيث ترتل الأناشيد، بطريقة متناسقة بحضور القساوسة الذين عادة ما يفوق عددهم الأربعين، رفقة فئات مختلفة من دكاترة، معلمين، رجال الدين و كهنة... الخ[2]

ولاحظ سرفنتاس(Cervantès) [3] الذي كان شاهداً على الفترة التاريخية من أواخر القرن السادس عشر ميلادي 16م في الجزائر ما أثار إعجابه أنّه يتعايش في هذه المدينة كل من

[1]- Haedo Fray Diego: **Topographie et Histoire générale d'Alger**, Tr. Mounreaut et Berbrugger, Imprimé à Valladolid en 1612, 1870, p. 203.

[2] - ibid. :p 394.

[3]- Michel Cervantèsميكائيل سرفنتاس كان جندياً من جنسية إسبانية ، شارك في معركة" ليبانت 07 "أكتوبر 1571م المشهورة أين فقد يده»: اليسرى و سمي ب: Le Manchot de l'épant أسر من طرف قراصنة الجزائر في 26سبتمبر 1575 م، كان مُلكاً لأحد العلوج الإغريق الملقب ، بالأعرج و هوDali Mami نظّم في فيفري 1577 م عملية فرار مع أربعة عشرة من رفاقه في الأسر بمساعدة أحد المغاربة عبر نفق أرضي« إلاّ أن محاولتهم باءت بالفشل و بقي أسيرا في الجزائر لمدة خمس ( 05 ) سنوات، إلى أن تم تحريره من طرف اثنين من آباء الثالوث المقدس سنة 1616م توفي في

المسلمين، والمسيحيين، واليهود، وكان يسمح للمجموعتين الأخيرتين بممارسة شعائرها الدينية بحرية والاحتفال بالقداس يوم الأحد كعطلة دينية [1].

ويصف هابنسترايت حرية المعتقد وما جاء على ذكره في رحلته قائلاً: " **يتمتع الكل في الجزائر بحرية المعتقد، فالأجانب يكرمون والكل في وضعية تمكنهم من القيام بما يرغبون فيه**"[2]

أما من خلال حسن المعاملة فنجد العديد من الشهادات وكتابات المؤرخين منها:

ما ذكره تيدنا في مذكراته في وصفه للمعاملة التي تلقاها ومقارنة بما كان يسمعه " **أين هي تلك ال بربرية واللاإنسانية التي تنسبها معظم أوربا لهذا الشعب الذي أنتمي إليه حاليا؟ ألا يمكن أن يكونوا إنسانيين تجاهي فقط؟ فقلت لنفسي لا، وواصلت القول :يجب على من ينسبوا إليهم ما لا يشرفهم أن يعرفوهم أولا .لأنهم لم يعيشوا معهم أبدا**[3]"

ويورد دي بارادي " **أن الأسير عند حلوله بالجزائر تقدم له ثياب تتألف من قميص وصدرية من الملف الخشن، سروال وقفطان من ذلك القماش، والذي يصل طوله إلى الركبتين، شاشية حمراء اللون، حذاء وغطاء من الصوف، وعليه أن يحتفظ بذلك مادام في الجزائر** "[4]، ويضيف بعد نزول الأسرى بالجزائر، حيث يقول "**يباع الأسرى في البادستان وقسم منهم تشتريه الفئات الخاصة الثرية ،ثم تقوم بعد ذلك بتأجيرهم بسعر يقدر بنصف سكة**

---

23أفريل1580م تاركاً آثارا أدبية، أشهرها (Don quichotte) و رواية( La vie à Alger) لتفاصيل أكثر حول هذه الشخصية، انظر: محمد عبد الكريم أوزغلة : **شهادات الأسرى ومشاهد الكتابة ميغل دي سيرفانتيس سافيدرا في الجزائر (1575–1580م)**، دار القصبة للنشر والتوزيع، الجزائر، ص ص18–30.

HAEDO (Fray Diego de): **De la captivité à** . op. cit., pp. 336 - 342

[1]- Ahmed abi-ayad: **Argel una etapa decisiva en la Obra y pensamiento de Cervantès** , Revue d'histoire Maghrébine, N°: 21 - 22, Avril, tunis,1981, p139-140.

[2]– ناصر الدين سعيدوني: **رحلة العالم الألماني (ج.و.هابنسترايت) الى الجزائر وتونس وطرابلس (1145هـ – 1732م)**،ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس،2008م،ص46.

[3]- تيدنا : **الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني (مذكرات تيدنا أنموذجا)**، تر .عميراوي أحميدة، دار الهدى، د ط، الجزائر، 2009 ، ص 40.

[4]- Venture De Paradis : **Tunis Et Alger Au XVIII ème siécle**, Mémoire Et Présentés Par Joseph Cuoq, Sindbad, Premiére Edition, Paris 1983 P56.

**جزائرية للشهر الواحد وبهذا تكون لهذا الاسير فرصة لجمع المال لافتداء نفسه، ويضيف أن قسما منهم يشتغل عند القناصل والمفاوضين ، العمال والحرفيين الأوروبيين ، أو عند آباء الرهبنة أو البعثات والإرساليات ، أو في المشفى الإسباني ، والقسم الآخر منهم الذي وقع في قبضة اليهود الذين يؤجرونهم للعمل في ثكنات الأتراك لتنظيفه"**، ويضيف بقوله" **إن الأتراك يعاملونهم معاملة حسنة لكونهم يحظون بمعاملة لائقة**"[1] أما الذين يعملون في قصر الباي، فيقول دوتاسي " **فأولئك المقيمون في قصر الداي، أو الباشا و غيرهم من أسرى الطبقة الراقية من الملاك الخواص، كانوا يأكلون و يلبسون جيداً**"[2]

وها هو تيدنا يصف معاملة الوكيل الذي اشتراه "... **فقد ذهبت من الجزائر ، ومن عند الوكيل الذي لم يعاملني كعبد ، وغمرني بالفضائل، وهو رجل جميل ومحسن، يزيده بياض لحيته وشيخوخته إجلالا وعظمة. وبمقتضى المعارف التي كانت لدي عن محاسنه وسلوكه يمكن للقول إنه كان من أكبر الإنسانيين المخلصين الذين وجدوا في هذا القرن...**"[3]

وبهذا الخصوص أيضاً نجد المعاملة التي خصّ بها سيمون بفايفر متحدثا عن نفسه فيقول:" **كانت وظيفتي تنحصر في معالجة الوزير وغيره من أفراد القصر أذا أصيبوا بمرض، فكان لي فائض من الوقت، وكان الدّاي الذي لم يكن له طبيب خاص، يستشيرني، وكان يرغب في رؤيتي**[4]"، ويسرد أيضاً تيدنا اللحظات الأخيرة من تحريره عن طريق بعد افتدائه فيصف شعوره "**لم أجد ما أقوله أمام دلائل الألم هذه التي سببتها لسيدي، إذ رغم فرحي لتحرري شعرت بحزن لا يوصف وقدت الصداقة والحب الذي يكنه لي الباي وحاشيته وأهل بيته وكل الحنان الذي**

---

[1]- Venture De Paradis : **Tunis Et Alger Au XVIII ème siécle**, op.cit., P50.

[2] - LAUGIER DE Tassy: **Histoire du Royaume d'Alger**, Préface Noël Laveau & André Nouchi, Editions, Loysel, Paris 1992, p. 165.

[3]- تيدنا، المصدر السابق، ص ص 36-37.

[4]- سيمون بفايفر :**مذكرات جزائرية عشية الاحتلال** ، تق وتعر: أبو العيد دودو، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، د ط، الجزائر، 2009م ، ص 29.

**غمرني به الجميع طوال أربع سنوات يقريباً مما جعلني أحب قيودي وأنا معهم ... وأجبته أخيرا بأني لم أقدر إلا الآن عظمة خسارتي لفراقه"**[1].

ويصنّف دي بارادي الأسرى على نوعين، الصنف الأول منهم يعاني من أوضاع مزرية يرجع سببها لاشتغالهم في أعمال المنافع العامة، أما الثاني فهو عكس ذلك، ودليل ذلك قوله فيهم ... " : **فهم يرتدون أفخر الثياب، ويأكلون أشهى الأطعمة، ولا يعملون إلا أعمالا طفيفة، ويمكنهم في مدة قليلة جمع المال الذي يفتدون به أنفسهم**"، إلا أن هؤلاء ينفقون أموالهم في الأكل الطيب والتهتك والفجور، كما أنهم وظفوا عند الداي وكبار الدولة والعرب، اليهود والقناصل ويضيف انه توجد ثلاث سجون في الجزائر اين يحتجز فيها الأسرى التابعين للبايلك الذي يوظفهم للعمل في البحرية أو في الاشغال العمومية[2]،

وكرر أحد أفراد القنصلية السويدية كارل ريفتيليوس (carl reftelius)نفس الفكرة التي أسس لها أغلب الأسرى الأوربيين؛ ذلك أن الأسرى دائما ما كانوا يحاولون إخفاء رتبهم وحرفهم، لتكون فديتهم منخفضة .وأكد **أن" الأسرى الذين ينتهي بهم المطاف في يد الداي، أو في أيدي ملاك الأسرى الخواص، ليس كلّهم غير سعيدين بوضعيتهم؛ كما يريد الكثير من الرهبان منّا أن نصدق** ... ". إن الأسير الشاب هارك أولوفس (Hark Olufs) الذي كان متواجدا داخل قصر الداي– حسب ريفتيليوس –عاش في وضعية ليست سيئة؛ رغم أنه كان يعاقب لاقترافه أخطاء صغيرة .أما ملاك الحانات من الأسرى فالكثير منهم لم يحاول الهرب من الجزائر؛" بل كانوا مرتاحين كثيرا لحياتهم بالجزائر، أكثر من بلدانهم الأصلية ."وهناك أيضا طبقة أخرى، هي الطبقة المثقفة، مثل :القباطنة، الضباط، الرهبان والأطباء، الذين يتطلب افتداؤهم مبالغ ضخمة، وهم يعاملون جيّدا..."[3].

ولعل الكثير من المؤرخين استغلوا قضية أسر النساء وروج الكثير منهم إلى استعباد النساء وخاصة منهم الذين روجوا لقضية فصل الأم عن ابنها والزوجة عن زوجها ولعل في الزوج الانجليزي

[1]- تيدنا: المصدر السابق، ص 84.

[2]- Venture De Paradis: **Alger Ou 18eme Siècle**, op.cit. PP 51-53 .

[3]- قرباش بلقاسم: المرجع السابق، ص ص127- 128.

خير مثال على ذلك :" .مثلما حدث مع إليزا برادلي من ليفربول سنة 1818، زوجة الكابتن برادلي، قائد السفينة سالي الانجليزية، التي كانت متوجهة نحو جزيرة توليرايف (الكناري)، أين تحطمت سفينتها على سواحل منطقة المغرب، واقتيدت كأسيرة بين عرب المنطقة وقضت مع زوجها والطاقم حوالي ستة أشهر"، إلى أن قام القنصل الانجليزي بافتدائها[1]. ويذكر كاثكارت أن امرأة كانت معهم أرسلت فور وصولها إلى المستشفى الإسباني، حيث ستبقى هناك لغاية تحريرها[2]، ويذكر إن الكثير من الرحالة الأوربيين قدّموا لنا صورة حسنة، عن معاملة ملاك الأسرى بالعالم الاسلامي للأسرى من المسيحيات؛" فالنساء في الغالب لا يتم ضربهن أو جلدهن؛ رغم أن الكثير منهن يتم إخفاؤهن في الحريم" [3].

ويوجد هناك أمثلة أخرى عن زواج الأسيرات من المالكين، ومن شخصيات مرموقة، والعديد منهمن أصبحن ذات جاه وما أورده جون وولف قائلا "... ولكن شهودا جديرين بكل ثقة يؤيدون الرأي بأن النساء كن يعاملن معاملة جيدة ... لا نستغرب ان نجد أن كثيراً من النساء قد تخلين عن دينهن وتزوجن مالكيهن... كما فعلت الشابة الايطالية النبيلة مارية دي غايتانو، التي تزوجت خير الدين..."[4]، ويذكر شالر أيضا " **فإن الأسيرات كن دائما يعاملن بالاحترام الذي يفرضه جنسهن. والأشغال التي كان يطلب إلى الرجال القيام بها لم تكن تفرطة المشقة**"[5].

ويقارن أحد الرّحالة بين العبودية المسيحية في العالم الجديد ووضعية الأسرى في العالم الإسلامي" إن المسلمين لا يستخدمون السوط؛ إلا ضد الأسرى من الرجال؛ أما النساء فلا يتم تعذيبهن إطلاقاً "[6]، ويصف الرحالة الآخر الألماني هابنسترايت عقد مقارنة بين وضعية الأسرى

---

[1]– قرباش بلقاسم: المرجع السابق، ص61.

[2]– كاثكارت: **مذكرات أسير الداي كارتر قنصل أمريكا في المغرب**، تر .اسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1982 ، ص102 .

[3] - Daniel Panzac : **Barbary Corsairs, The End of a Legend 1800-1820**, Tr. Victoria Hobson, LEIDEN: Brill, 2005, p.16.

[4]- وولف جون: المرجع السابق، ص 228.

[5]– شالر: المصدر السابق، ص99.

[6] - Kenneth Parker : **Reading 'Barbary' in Early Modern England, 1550-1685**, The Seventeenth Century, Vol.19, N.01, 2004, p.95.

النصارى في الجزائر والجزائريين في مرسيليا حيث يقول" **فالجزائريون عاشوا حالة الشقاء لا يستطيعون إلا بشق الجهد جر أغلالهم الثقيلة** "، بينما يتمتع النصارى في الجزائر بالحرية مقابل دفعهم مبلغاً ماليا[1]، فنجد شارل أندري جوليان الذي كتب في هذا الشأن يقول " اذا كانت حياة الأسرى الأوروبيين المستعملين في تجديف السفن تثير أكبر شفقة ، فقد كانوا أسعد حظا بكثير من الأسرى البربريسكيين (من بلدان المغرب) الذين كانوا مستعملين في تجديف سفن ملك فرنسا والذين كانوا يوسمون بالحديد المحمى ويمنعون من ممارسة شعائر دينهم" [2].

ونستنتج أنّ تعامل السلطات الجزائرية مع الأسرى المسيحيين أو الأحرار منهم لم يكن بالصورة المرعبة التي اعتمدها الغربيين في كتاباتهم ،إذ لا يمكن بأي حالة مقارنته بتعامل الأوروبيين مع تجارة الرقيق التي كانوا يمتهنونها يومذاك، حيث أن تعامل السلطة الحاكمة في الجزائر مع الأسرى كان يقوم على أساس ماجرت عليه التقاليد، ولم يضرها التعهّد بين الحين والآخر للأوروبيين باحترام الأسير.

[1]- ناصر الدين سعيدوني: **رحلة العالم الألماني (ج.و.هابنسترايت)**،المصدر السابق، ص46.

[2]- جوليان شارل أندري : المرجع السابق، ج 2، ص ص، 163-164.

## المبحث الثالث: الحكام والمحكومين

### أولا: علاقة العنصر المحلي بالحكام :

توجد العديد من الكتابات الغربية تركز على قضية الاستئثار وحيازة السلطة من طرف، الأتراك وإبعاد العنصر المحلي، و العنصر الكرغلي[1]، من تبوء مناصب عليا والمساهمة في إدراة شؤون البلاد وتعتبره فعل عنصري وتهميش للعنصر المحلي، حيث أن العديد من الكتبات رأت فيه تأكيد على فكرة الاحتلال، والطبيعة الاستعمارية من خلال نظرتهم للوجود العثماني في الجزائر.

كانت الطائفة التركية تمثل واحدة من الطوائف الهامة التي تحتل القمّة في هرم السلطة ، وهناك من يرى أن هذه الطائفة كانت منعزلة أحيانا عن الأهالي الجزائريين وذلك من أجل الحفاظ على سطوتها السياسية أو لصيانة تقاليدها المميزة في العيش[2]، وما ويعزز هذه النظرة ما ذكره دي بارادي " **تكون مولوداً بتركيا وتكون مسلماً لتفوز بالانضمام إلى صفوف الانكشارية في الجزائر، وبالمراتب العليا المقربة من الداي**"[3]، و في هذا الإطار يضيف شالر إذ يقول "... **وأقاموا دستورهم على مبدأ الغزو والفتح، مع الاحتفاظ للانكشارية وحدهم بحق شغل مناصب الثقة والمناصب الشرفية أو المناصب التي تدر المكاسب** "ويضيف أيضا " ... **أي تركي مهما كان أصله ووضعه، بمجرد ما ينخرط في الانكشارية، يستطيع أن يرشح نفسه لمنصب الداي...**"[4]،حيث وصفهم شالر بمجموعة عصابة من المغامرين الاجانب استولت على سلطة السيادة واستحوذت لنفسها وحدها على جميع الوظائف الحكومية[5].

---

[1]- **الكراغلة**: يعني "كول" وهم أبناء عبيد السلطان ، ينحدرون من الهيئة الحاكمة أي الأتراك ، وهم من الطبقة الثانية ،ومع ذلك فهم يتولون العديد من الوظائف، الإدارية والعسكرية .ينظر: خليفة حماش، الأسرة الجزائرية خلال العهد العثماني، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه، تخصص تاريخ الحديث و المعاصر، غير منشورة ، جامعة قسنطينة ، الجزائر ، 2006 م، ص 66 . و ينظر أيضا: خليل اينالجيك، **التاريخ الاقتصادي و الاجتماعي للدولة العثمانية** ، تر: عبد اللطيف الحارس ،دار المدار الإسلامي، ط1، بيروت، ، 2007 م، ص607 ،606.

[2] -Gustave Gauterot: **La Quanquéte D'alger 1830**, Préface De M.Louis Bertrand De L'académie Francaises Payot, Paris, 1929, P36 .

[3] - Venture De Paradis, **Alger Ou 18eme Siècle**, op.cit. p87.

[4]- وليم سبنسر: المرجع السابق، ص 82.

[5]- شالر: المصدر السابق، ص 50.

ويضيف كذلك وليم سبنسر مدعما هذا الاستنتاج وهذا الطرح الأوروبي بقوله " ... وقد كان لمدينة الجزائر شيخ بلديتها . الخاص بها وبجانبه مجلس المدينة (الحكام hakam) هذه المناصب كان يتولاها الأتراك."[1]، فكانت تعيش زمنا طويلا على هامش القبائل. تحولت إدارة البلاد إلى استغلال مثمر للسكان الأصليين الذين كانوا يعاملون كالرعايا المسيحيين[2]،.حيث يقول الرحالة الألماني هابنسترايت في هذا الصدد " **فالحكومة بيد الأتراك الخلص ... ينظرون إلى الجزائريين نظرة يشوبها الاحتقار وينعتونهم بانهم مجموعة من العصاة أو الخارجين على القانون**".[3]

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن هناك تهميش للجزائريين في حكم بلادهم, وأنّه لا يوجد في الإمبراطورية العثمانية علاقة أسوأ من علاقة الترك بالعرب في مملكة الجزائر.[4] وقد أشار روزي (rozet) إلى حياة الأتراك بالجزائر ورغبتهم المتواصلة في العزلة عن الأهالي، والدافع في ذلك هو إبقاء هيمنتهم على المناصب الحكومية، حتى يحافظ الأتراك على وضعهم الاجتماعي. كانوا يستخدمون جماعات أتراك الأناضول للعمل في فرق الأوجاق[5].

في حين أنه كان علاقة السكان بالسلطة خاصة القبائل تعاني من فجوة وتربطها فقط الضرائب ، وهو ما ذكره شالر في هذه الخاصية " ... **والعرب تابعون للحكومة الجزائرية، ولكنه فيما عدا دفعهم الضرائب لهذه الحكومة، هم في حالة شبه مستقلين ويخضعون لسلطان شيوخهم ولقوانينهم الخاصة، ومتى وجدو استبداد الباي وطغيانه لا يطاق يجلون الى منطقة ادارية أخرى أو الى الصحراء ، حيث لا تصل إليهم يد السلطة**"[6]، ويصف كذلك علاقة السلطة بقبائل البربر ويقول " **والاتراك في حرب دائمة مع القسم الذي يشرف على البحر من ولاية قسنطينة الذي يقطنه القبائل،... ومن شدة عداوتهم للترك يعتبرون كل اجنبي يقع في أيديهم تركيا، ولا يكتفون بتجريده من ممتلكاته بل يقتلونه أيضاً**"[7]،

---

[1]- وليم سبنسر: المرجع السابق، ص 41- 42.

[2]- شارل روبير اجيرون: **تاريخ الجزائر المعاصرة**، تر عيسى عصفور، منشورات عويدات،ط1، بيروتباريس،1982،ص11.

[3]- ناصر الدين سعيدوني: المصدر السابق، ص29.

[4] - HAEDO Fray Diego de: **Histoire des rois d'Alger** ,op.cit. p219.

[5] - C.A ,Rozet: **voyage dans la régence d'alger ou description du pays occupé par l'armée en afrique**,T II, A. Bertrand, paris, 1833,pp276-277.

[6]- شالر: المصدر السابق، ص ص 108- 109.

[7]- نفسه: ص 116.

وكانت العلاقة دائما تسوء في حالة رفض المطالب وما أخبرنا به تيدنا " عندما تخالف بعض المقاطعات الباي سواءا بعد إطاعة مطالبه التي لا يتوقف عن مطالبتهم بها أو عندما تحدث بعض المشاجرات ...وعندما ينسوا ما حدث يجمع من سبعة الى ثمانية ألاف رجل ويذهب سرا ... من أجل سلبهم كل ما يملكون"[1]، ويرى كذلك المؤرخ شارل اندري جوليان إذ يعطي فكرة عن الحكم التركي للجزائر لم يكن ذا طابع وطني ولم يسمح بقيام وحدة وطنية عكس تونس في عهد الأسرة الحسينية[2]، حيث شهد الحكم العثماني في الجزائر العديد من الثورات مثل ثورة الكراغلة، الثورة الدرقاوية، والتيجانية، وابن الأحرش هذه الاخيرة التي كان لها أثر بالغ، وساهمت في ضعف الحكم العثماني الذي انتهى بالاحتلال الفرنسي للجزائر.

إن هذه النظرة للوجود العثماني هي نفسها التي تمسك بها المستعمر الفرنسي فقد نص تقرير لاباصونيار محاضر اللجنة الافريقية سنة 1833 على أن الأتراك الذين احتلوا الجزائر عسكريا تسببوا في تدميرها وأن حكومتهم لم تنتج سوى مغتصبين وأعداء[3].

**ثانيا: الانسجام بين الحكام و المحكومين**

تؤيد معظم الكتابات نظرة إبعاد العنصر المحلي من الأهالي من المشاركة في الحكم ، لكن هذا لا يعني أنهم مبعدين أو في معزل عن السلطة الحاكمة فقد مثّل الأهالي ركيزة من ركائز تثبيت الحكم العثماني في الجزائر وما أشار له وليم سبنسر حول الوجود العثماني في الجزائر أنه كان أحد التطورات الايجابية في مدينة لجزائر وهو تخفيف الانقسامات الداخلية في المغرب الأوسط،[4] حيث ساعد في اكتساب كيان سياسي.

يؤكد هذا الوصف المؤرخ الفرنسي أرنست مارسيارErnest-Mercier قائلاً " لولا النظم العثمانية الذكية لما مكث العثمانيون مدة ثلاث قرون بقوات قليلة جداً "[5]،حيث يصف نوع الحكم بالإيالة بالنظام المدني والعسكري بمعالم جمهورية. ويرجع الفضل في ذلك حسب سبنسر إلى

[1]– تيدنا: المرجع السابق، ص ص 57–58.

[2]- جوليان شارل أندري: المرجع السابق ، ص 386.

[3]– سعيدوني ناصر الدين: **الجزائر منطلقات وآفاق ، مقاربة للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت،2000، ص 180.

[4]- وليم سبنسر: المرجع السابق، ص 99.

[5] - Ernest Mercier: op.cit. p p 214-215.

دستور النخبة من الأتراك الذي ساهم في تقوية احترام النظام والقانون التركي الّذين غرسهما الإخوة بربروس في جماهير الشعب وكنتيجة لذلك فأن الإيالة عاشت في هدوء داخلي، وأصبحت مدينة الجزائر أكثر موانئ البحر الأبيض المتوسط من حيث النظام وحسن السياسة[1].

ولعل ما يثبت تعاون والسكان مع السلطة ما تحدث به دي بارادي ي التعاون على تحصين لمدينة من الاعتداءات الخارجية، ويورد أمثلة عن ذلك قوله " **وعندما وقعت الحرب مع الدنمارك ومع اسبانيا تقرر زيادة التحصينات ... ، فسائر السكان عملوا في ذلك، وكانوا يأتون بالحجارة من مقطع في ناحية باب الواد**..."، وفي السياق ذاته ذاته عن توقع الجزائريين لنزول الاسبان قرب الجزائر للمرة الثانية، حيث باشر الأهالي بحفر خنادق تمتد من باب عزون إلى وادي الحراش، كما قدم الداي محمد بن عثمان باشا لخزينة الدولة مبلغ 200 ألف سكة من ماله الخاص، وتبرع سائر رجال الدولة الأغنياء بثمن المراكب الخفيفة التي تحمل المدافع لحماية الجزائر[2]، وسبق للداي محمد بن عثمان تخصيص الهدية المالية المستلمة من باي تنس لإغاثة المنكوبين وللأعمال الخيرية.[3]

ويعبر وليم سبنسر عن هذا الانسجام إذ يقول " فإنه في الحقيقة هي أنه خلال ثلاثة قرون من وجود الإيالة لم تكن هنا أية ثورة واحدة على المستوى الواسع ضد السلطة المركزية، وقد أظهر الأتراك تفهماً عميقاً للتحالفات القبلية التقليدية في المغرب"[4]،حيث يضيف واصفاً سبنسر من خلال العلاقة بين الحكام ومواطنيهم قائلاً " ... لم يكن حكام مدينة الجزائر يخافهم مواطنوهم أكثر مما يحترمونهم..."[5].ويضيف كذلك" إن الانقسامات الداخلية والتغييرات في سجل الحكم التي ظلت تحدث في الحكم التركي عبر العصور لم تغير أبداً هذه العلاقات الأساسية ولم تعكر الانسجام الداخلي للإيالة." [6]،حيث كان الاحترام الذي يكنه مواطني مدينة الجزائر للمنصب وللقانون التركي

---

[1]- وليم سبنسر: المرجع السابق، ص 98.

[2] - Venture De Paradis**, Alger Ou 18eme Siècle**, op.cit. p87.

[3]- أرزقي شويتام: **مجتمع الجزائر وفعالياته في العهد العثماني(926هـ-1246هـ/1519م-1830م)**،ط1 ، 2009، دار الكتاب العربي، الجزائر،ص439.

[4]- وليم سبنسر: المرجع السابق، ص 86.

[5]- نفسه: ص 64.

[6]- نفسه: ص66.

أدّى إلى أن أوامرهم كانت تطلع في الحال[1]، وهو ما يعبر عن مدى قوة ترابط السكان وعلاقتهم الوطيدة بالسلطة العثمانية التي نتج عنها كيان سياسي قوي متكامل الأركان في جميع جوانبه.

## المبحث الرابع: القضاء والأمن

### أولا: القضاء:

أولى حكام الجزائر أهمية قصوى إلى تنظيم جهاز القضاء الذي يخضع لمبادئ الشريعة الإسلامية، فالقاضي له وظيفة دينية بالإضافة إلى صلاحيات أخرى امتدت إلى مختلف مجالات الحياة منها الفصل في النزاعات، والاحتجاجات ، والسهر على القضايا المستعجلة، بالإضافة إلى اشرافه على الأوقاف، ومعاملات البيع الشراء[2].

وتضم السلطات الدينية خمس مؤسسات والتي تتمثل في جهاز القضاء، والذي تميز بالثنائية (الازدواجية)، أي القضاء الحنفي والقضاء المالكي، والهيئة الدينية العليا المتمثلة في المجلس العلمي الذي كان بمثابة محكمة عليا أو محكمة استئناف أو ديوان المظالم، كما يجتمع قاضيان ومفتيان في الجامع الكبير كل يوم خميس من أجل النظر في القضايا الكبرى التي لم يقع البث فيها في المحاكم الشرعية، وكذلك لتوزيع التركات حسب الفريضة، يسمى المجلس الشريف، وبالنسبة للطعن في أحكام القضاة فقد جرت العادة ان ترفع الطعون الى المجلس الشريف الذي يضم القاضي المالكي والقاضي الحنفي والمفتي المالكي والمفتي الحنفي، فقد ظل العمل بالمذهب المالكي والانتصار له مستمرا طيلة الحكم العثماني للجزائر مع وجود بعض العلماء الذين آثروا الانتصار للمذهب الحنفي[3].

وفي مجال الفصل في المظالم يشيد هايدو بمجهودات السلطة في تجسيد العدالة بين الجميع اذا يقول "**لا يوجد أي مبرّر شخصي او شرفي يؤدي الى تفضيل هذا عن ذاك، الكلّ سواسيّة، التركي أو الجزائري، اليهودي أو المسيحي، كان الأب قائدا أو خليفة أو باشا، كلّ واحد**

---

[1]- وليم سبنسر: المرجع السابق، ص 81.

[2]- عائشة غطاس: المرجع السابق، ص ص 71-79.

[3]- مسعود فلوسي : **المذهب المالكي والسلطات المتعاقبة في الجزائر**، مجلة البحوث العلمية والدراسات الاسلامية، ع1، جامعة الجزائر1 ، 1425هـ- 2004م، ص90.

**يجازى بحسب ما اقترف**"[1]، يعتبر الداي من الناحية المعنوية القاضي الاعلى للبلاد، فهو يتولى شخصياً تعيين القاضي الشرعي بالمدينة، ومن بين وظائفه كذلك الفصل بين الناس فهو يحكم بينهم في كل الأمور ماعدا الدينية التي يتكفل بها القاضي، فالقضايا تحل فوراً بلا تكاليف ولا استدعاء[2] ، ومن صلاحياته فرض العقاب الذي يريد على من يريد[3]. كما أخبرنا هابنسترايت أن قصر الداي يستعمل في نفس الوقت كقصر للعدالة، وكانت كلمة شرع الله أو عدالة الله لها في هذا المقام وزن كبير، والأتراك تتم معاقبتهم في سرية حفاظا لكرامتهم، بينما تنفذ الأحكام علانية في الحضر وباقي الطوائف عند باب عزون والأسرى المسيحيون يقومون بمهنة الجلد[4].

يرى شالر في القضاء وتكاليفه حيث يقول "... **أما تكاليف القضاء، فهي متواضعة جدا في جملتها ، ويبدو أن الحكومة مصممة على نيتها في أن يكون العدل من حق الجميع في كل الحالات... مضافا إليه الاختصار في المرافعة وسرعة تنفيذ الأحكام، لها تأثير كبير على استقرار الأمن وما ينجم عنه من الطمأنينة في الجزائر**"[5]، ويصف دي بارادي الكيفية التي تتم بها المحاكمة بالنسبة للمسلمين فقد رصد أنهم يدخلون كلهم للمسجد، أمّا في حالة ما كان أحد الأطراف الخصومة نصرانياً، أو يهودياً فإن أعضاء المجلس الشريف يخرجون الى الصحن بجانب الجامع وهناك يتقدم الخصوم [6]، نظرا للأهمية البالغة للقضاء ودوره في إرساء العدالة بين أفراد المجتمع , يتبين لنا أن الحكومة كانت مصممة على أن يكون العدل من حق الجميع في كل الحالات ,لكن نلمس بعض تجاوزات إذا ما تعلق الأمر بالأتراك[7].

أما اليهودي أو النصراني الذي ينقص من معدن العملة تقطع يديه ويشنق ويطاف بجثته على ظهر حمار في أرجاء المدينة، والضرب بالعصا هو من الأمور الأكثر شيوعا، ولليهود قاض خاص بهم، بينما النصارى لهم الحرية في رفع تظلماتهم أمام قناصل دولهم.[8]

---

[1] - Haedo Fray Diego de :**Topographie et histoire générale d'Alger**, op.cit. ,p180.

[2]- Lauger De Tassiy: op.cit. ,P135.

3- كاتكارت: المصدر السابق، ص 30.

4- ج.أو.هانبنسترايت: المصدر السابق,ص 39.

[5]- شالر : المصدر السابق، ص 49.

[6] - Venture De Paradis: **Tunis Et Alger Au XVIII Eme siécle**, op.cit. P 259.

[7]- ج.أو.هانبنسترايت: المصدر السابق,ص45 .

[8]- نفسه: ص40.

ونؤكد صدق كلام هابنسترايت بالقول أن لليهود محاكم خاصة بهم ولا يعودون في أحكامهم إلى القوانين المعمول بها في البلاد إلا إذا تعلق الأمر بالمخالفات التي تحدث بينهم وبين المسلمين.[1]

ويروي تيدنا عقوبة القاتل ذكر أنه لا يهرب ويبقى في خيمته وتقدم الشكوى للباي ويتم احضار المجرم وسأله عن سبب الجريمة فيجيب الجاني بالقدر ثم يطرح الباي على أهل الجاني ماذا يفضلون المال (الدية) أو القصاص فإذا اتفقوا على الصلح فإن الباي يبهجه ذلك لأنه يأخذ نصف المبلغ، وإذا لم يريدوا الصلح، يستولون على القاتل ويقتله أقرب شخص للضحية بدون تدخل من الباي .

ويضيف كذلك مما شاهده قطع رؤوس سبعة أشخاص في أقل من عشرة دقائق لأنهم سرقوا بضعة أغنام من أحد الدواوير وينفذ الحكم الشاويش.[2]

وبالرغم من كل هذا نجد بعض عقوبات تصدر في حال ارتكاب المخالفات ومثال ذلك ما ذكره تيدنا بعد اصداره لعقوبة الجلد في السارق داخل القصر"... **ألفيت رجلا يقترب منا وعرفته أنه أكبر أعدائي لقد كان يمقتني بسبب إمريت بجلده 200 جلدة –منذ مدة قصيرة– وذلك لأني وجدته يسرق شيئاً لسيدي**"[3].

الملاحظ ان أغلب الكتابات الغربية وافقت الكتابات المحلية في اعتماد الشريعة الإسلامية كونها المصدر الأساسي للتشريع وانتشار العدل بين الجميع إضافة إلى سرعة معالجة القضايا واستصدار الأحكام وسرعة تنفيذها.

**ثانيا: الأمن**

من بين الجوانب التي أشاد بها الكتاب الغربيون محافظة الحكام العثمانيين على النظام العام، واخلاصهم للقوانين، وتعزيز الأمن داخل الإيالة وبسط السيطرة على المدن، وذلك من خلال إنشاء تنظيمات شرطية عن طريق الالتزام، والصرامة، وإخلاصهم للقوانين، في حياة كان ملئها الجد في العمل.

حيث يصف دي برادي أن الحياة الادارية قائمة على الجد، والعمل بها صعب، وما يلفت الانتباه أن رجل الادارة لايهتم الا بعلمه فقط، حتى أن المرض لا يعيقهم على آداء واجباتهم، قائلا في هذا

---

[1]– ناصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي، **الجزائر في التاريخ العهد العثماني**، المؤسسة الوطنية للكتاب، د ط، الجزائر، 1984م ،ص23.

[2]- تيدنا: المصدر السابق، ص ص 53-54.

[3]– نفسه: ص ص 66-67.

الشأن " **فالداي يجب أن يستيقظ قبل صلاة الصبح، وعندئد يفتح باب مسكنه إلى الديوان...، وقبل فتح الباب يكون الخزناجي، والآغا وخوجة الخيل، كبار الكتاب جالسين على المقاعد ...، وهم منذ تلك الساعة لا يبرحون إدارة الحكومة إلا بعد صلاة العصر...**"[1].

في كثير من الأحيان يقف الحكام على مدى عمل الشرطة ويمكن حتى ممارستها بنفسه من خلال تدخلاته فيروي دي تاسي قصة الداي ابراهيم (1710م) الذي كان في جولة في الميناء واكتشف شخص يحمل شيء وتبين أنها فاكهة وبعد التحري اكتشف أن الشخص قام بالسرقة لا الشراء من إحدى السفن، فأمر الداي بمعاقبة المجرم، إعدامه جراء ما فعل[2].

إن تفقد حاكم الجزائر لأحوال الأمن لدليل واضح على السهر على أهميته حيث استحدثت السلطة العثمانية العديد من التدابير لحفظ النظام حيث تحدث عنها دي برادي منها:

- عودة جميع السكان إلى منازلهم بعد ساعة ونصف من الغروب عند الانتهاء من الصلاة الأخير (صلاة العشاء).
- يجب على كل سكان مدينة الجزائر حمل الفانوس والمخالف لا يعتبر له رخصة العبور باستثناء الأطباء والجراحين أو أناس معروفين.
- للأوروبيين حرية السير في الليل (الوقت الملائم الذي يجتمعون فيه ذلك يرجع كونهم يتعرضون للإهانات في النهار حسب رأي دي برادي لكنهم لا يتعرضون للعقوبات).
- يحمل اليهود فانوس مختلف لسهولة التعرف عليهم من طرف الحراس.[3]

أورد دي تاسي كيفية التعامل مع الغرباء والطريقة المتبعة أثناء سيرهم في المدينة، حيث اورد ان قبطان البحرية يعرضهم على الداي ويمكن الاستعانة بمترجم في حالة عدم اتقانهم للغة العربية أو العثمانية، وكذلك يمنعون من حمل السلاح في الشوارع كالسيوف.[4]حيث منع الاجانب من حمل السلاح شمل حتى القناصل، وكبار الضباط[5]، فانتشار الأمن كان نتيجة للسياسة التي انتهجها

[1]- Venture De Paradis **: Alger Ou 18eme Siècle**, op.cit. p09.

[2]- حنيفي هلايلي: المرجع السابق ص ص 91-92.

[3] - Venture De Paradis : **Tunis Et Alger Au XVIII Eme siécle**, op.cit. P 187.

[4] - Lauger De Tassiy , op.cit. pp70-71.

[5]– محمد بوشنافي: المرجع السابق، ص95.

الحكام والمشرفون على الأجهزة الأمنية خاصة فيما يخص العقوبات التي ارتبطت بالانتماء الطائفي للمذنب[1].

ويصف هايدو طريقة الإيداع حيث يودع الأهالي واليهود والنصارى الذين اقترفوا بعض الجرائم في انتظار صدور الحكم عليهم، أما سجن الانكشارية يشرف عليه الآغا، والسجن الآخر يشرف عليه المزوار[2] لحجز الاشخاص الذين تم القبض عليهم لارتكابهم بعض الأخطاء ، وكل من يدخل السجن مجبر على دفع مبلغ من المال حسب الخطأ الذي ارتكبه، أما في الحالات الخطيرة فإن القضية تحال على الداي، وما لاحظه دي بارادي أن السجون في مدينة الجزائر ماهي إلا مكان ينتظر فيه المحكوم عليه بعض الوقت إلى حين صدور الحكم.[3].

ويصف لنا شالر حال مدينة الجزائر ودور الأمن فيها قائلاً " **وأنا اعتقد أنه لا توجد مدينة أخرى في العالم يبدي فيها البوليس نشاطاً أكبر مما تبديه الشرطة الجزائرية التي لا تكاد تفلت من رقبتها، كما أنّه لا يوجد بلد آخر يتمتع فيه المواطن وممتلكاته بأمن أكبر**"[4]، ويضيف كذلك سبنسر واصفا حال المدينة بعد التعرض لهجوم قائلاً "... وتستأنف الحياة بعد ذلك لسكان المدينة المحظوظة بين جميع المدن الاسلامية ببركة الله، تحرسها مفرزة عسكرية ذات فعالية مقدسة تتمثل ضمانتها في عدم إمكانية اختراقها من قبل الأعداء"[5].

أمّا القنصل فالليير (Vallière) الذي زار مدينة الجزائر سنة 1780 م الوضع العام وحالة الهدوء والأمن في المدينة قائلاً "...**ولا وجود للصوص إلا نادرا، والجرائم والاغتيالات تكاد تكون منعدمة ولا يمكن أن تفلت أية جريمة، وتنير المدينة مصابيح خافتة قليلة، وتغلق الشوارع تقريبا بباب وهو الشيء الذي وفّر الأمن والراحة للمواطن في منزله**"[6].

إن علاقة الإدارة العثمانية بالسكان غلب عليها الطابع العسكري في أسلوب تسيير التنظيمات الأمنية حيث حافظ العثمانيون على التقاليد الخاصة بهم، و هذا ما كان له دور فعال في الحفاظ

---

[1]- محمد بوشنافي: المرجع السابق، ص 93.

[2] - Haedo Fray Diego de :**Topographie et histoire générale d'Alger**, op.cit. p96.

[3]- Venture De Paradis, **Tunis Et Alger Au XVIII Eme siécle**, op.cit. P 196.

[4]- شالر: المصدر السابق، ص ص 77- 78.

[5]- سبنسر: المرجع السابق، ص 64.

[6]- حنيفي هلايلي: المرجع السابق ، ص85.

على الأمن وتطبيق القوانين، والذي انعكس على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، ودوام استمرارية الحياة في الايالة من جميع الجوانب.

## المبحث الخامس: المال العام والضرائب

يقتضي الحفاظ على استمرار النمط الاقتصادي للدولة وضمان قوته في الحفاظ على المال العام، وضمان تحصيل الضرائب لديمومة استقرار موارد الخزينة وهو ما سعت الدولة الى تحقيقه، وقد اختلفت رؤية الكتابات الأوروبية إلى هذا الدور وهو ما نستقرؤه من النصوص التاريخية من خلال:

### أولا: المال العام

ضمان استمرار الدولة والحفاظ على المصالح المشتركة يقتضي تحسين الاقتصاد من خلال الحفاظ على المال العام وهو ما عبّر عنه سبنسر بقوله "بما أن غالبية الحكام والمحكومين كانوا مسلمين فإن الاشتراك في مجموعة من المصالح كان منتشراً على أية حال"[1].

وقدّم شالر وصفاً دقيقا لبعض مظاهر الحياة ووفرة المال والثراء لبعض العائلات، وذلك بانعكاس ثراء الإيالة عليهم وأعطى حكما عاما على وفرة المال قائلاً "... **يجب أن نستخلص أن مدينة الجزائر تعتبر من أغنى مدن العالم بالمال...**"[2]، ويورد دي بارادي " **أنه لا وجود لدولة مقتصدة في الاموال العمومية أكثر من حكومة الجزائر** "، ويضيف أيضاً " **أن الاشغال العمومية في الجزائر كانت تتم كلها عن طريق العمل بالسخرة التي تفرض على الجميع وحتى اليهود**"[3]، وهذا التسخير يكون في حالة الاستعدادات للعدوان الخارجي ويشترك فيه الجميع دون استثناء.

ودليل الحفاظ على المال العام ما قام به الداي عثمان باشا عندما تبرع لخزينة الدولة بالمال، بمناسبة الاستعداد لحملة إسبانية متوقعة حيث لما سألوه أن يسترجعها رفض قائلاً " **أنه لا يحتاج شيئا وأنه ما دام سيترك بعد موته للخزينة جميع ما يملك، فالأولى أن يسلم لها ذلك وهو بقيد الحياة.**"[4]

---

[1]- سبنسر: المرجع السابق، ص 65.

[2]- شالر : المصدر السابق، ص 78.

[3] - Venture De Paradis: **Alger Ou 18eme Siècle**, op.cit. , p93.

[4] - Ibid., p195-196.

ويخص حراسة خزينة الدولة ثلاث كل فرقة مكونة من 16 نوبتجيا[1]، بحيث عدد نوبتجية القصبة 48 شخصاً، يناوبون الليل النهار وينامون داخل القصر، ويعينهم الداي بنفسه.[2]حيث تولي السلطة الحاكمة أهمية كبيرة في حماية خزينة الدولة، والذّود عن تبذير أموالها شيء مقدس لديهم حتى في أحلك الظروف وأصعبها.

أورد تيدنا بعض أعمال الخزندار والتي كلف بها في الكيفية التي يتم بها تخزين المال قائلا " **ويجب على الخزندار يعلم بقيمة الذهب والفضة المزورة الموجودة في البلد، لابد من واجبه أن يدور ويزن ويحسب كل الذي يقدم الى الباي .... عند وضع الدراهم في المخازن، عليه ان يفرق بين دراهم كل مقاطعة حتى يتفادى السلبيات التي يمكن أن تحدث سواء عن خطأ يرتكبه الكتاب المسؤولون على الحسابات، أو عن خبث من المكلفين بجمع الضرائب، وعليه أن يحافظ على الحاجيات التي يوزعها الباي على الأهالي حتى لا يضع نفسه موضع عتاب هذا الأخير**."[3]

حيث أن تسيير شؤون الدولة من طرف العثمانيين يخضع لمبادئ يلتزم بها الحكام ورجال السلطة والمصنفة بالأساسية أعطي لها اهتمام كبير وهو ما ذكره بفايفر حيث يقول في هذا الصدد "... **وقد بدا في النهاية أنّ النّاس لا يعرفون إلا أمرين مهمّين كريمين، هما القرآن وخزانة الدّولة**[4].

بالرغم من اجتهاد الحكام الأوائل في التسيير الحسن لموارد الدولة، لكن شهدت بعض فترات من سوء التسيير وظهر ما يسمى بالفساد خاصة التزلف الذي ميز بعض البايات، في التقرب من الحكام عن طريق تقديم الهدايا كرشوة للحفاظ على مناصبهم، حيث يصف شالر بعض منها حيث يقول " **ولقد أخبرني مسؤول يتمتع بالثقة أن كل زيارة يقوم بها باي وهران وباي قسنطينة للحكومة المركزية تكلفه ما لا يقل عن 300.000 ألف دولار. وبهذه المناسبة يتحتم تقديم رشوة لكل واحد من الضباط، ولكل حسب ما يتمتع به من المكانة والنفوذ، ولكن هذه المبالغ الاضافية لا يدخل منها شيء إلى الخزينة العمومية**"[5]ويضيف أيضا واصفا

[1] - Venture De Paradis :**Tunis Et Alger Au XVIII Eme siécle**, op.cit. P 107.
[2]- Ibid., p67.

[3]– تيدنا: المصدر السابق، ص43-44.

[4]– شاطو محمد: المرجع السابق.ص 169.

[5]– شالر: المصدر السابق، ص 46.

فإن الاعتبار الذي له المكان الأول في نظر الحاكم التركي، هي ثروته الشخصية ،ومما يزيد هذا الشعور حدّة في نفسه ما يشاهده من الترف والبذخ في الدوائر الحكومية أو عدم تأكده من الحصول على لقب يضمن له مكانته.[1]

ويصف جون وولف ان البلاد عانت لفترة من نقص المال، بسبب سياسة بعض الباشوات فتصل أحيانا الى عدم قدرة دفع الأجور للجند حيث يقول"... أما الصعوبة في دفع الأجور للانكشارية فقد ظهرت فيما بعد ، عندما أصبح الباشوات المعينون كل ثلاث سنوات ينظرون إلى منصبهم كوسيلة لجمع ثمن شراء المكانة والألقاب."[2]، حيث ولتدارك هذا الوضع سارعت الدولة الى فرض ضرائب على سكان الارياف ( الجزية ) لدفع هذه الأجور وتمويل الخزينة[3]، وفي هذا الشأن يصف شالر تصرف الجند بقوله " **ودخل هؤلاء الضباط، انما يتوقّف على ما يجنيه كل واحد منهم من الامتيازات التي تصل بمنصبه، وعلى الرخص التي يمنحها لابتزاز الأموال في مختلف أنواع علاقاته بالمجتمع**"[4].

أدى الفساد المالي في العهود اللاحقة الى زيادة فرض الضرائب على السكان وإخضاع الكثير من القبائل لجباية الضرائب منها، وتم إضافة ضرائب إضافية على السكان حيث أدت هذه السياسة الى حدوث اضطرابات وحل عقدة الانسجام بين الحكام والمحكومين.

## ثانيا: الضرائب

تضمّنت العديد من الكتابات طرح مسألة الضرائب حيث صورت هذه المؤلفات العلاقة بين السلطة والسكان في تحصيل الضرائب والظروف التي تتخللها عملية الجباية والقيمة المادية لها .

يذكر هايدو في كتابه لوصف معاناة أصحاب الصنائع من الضرائب قائلاً "... **وإن المنتوجات كانت كافية للاستهلاك المحلي لدرجة الكساد الذي كان يؤدي في غالب الاحيان الى تفشي ظاهرة الفقر خاصة في اوساط صناع الزرابي والنساجين الذين اثقلوا بالضرائب التي كان يفرضها الباي عليهم**"[5]، ويورد كذلك شالر وصفا لعملية جمعها إذ يقول

[1]- شالر: المصدر السابق، ص59.

[2]- جون وولف: المرجع السابق، ص 106.

[3]- نفسه: ص106

[4]- شالر: المصدر السابق، ص46.

[5] - Haedo :**Histoire Des Rois D'Alger** : op.cit. P 96.

"... **والبايات وحكام الأقاليم، هم المسؤولون عن جمع الضرائب، وبواسطة أعوانهم من العساكر والشرطة يستحوذون على كل ما يقع تحت انظارهم من أموال الشعب وهذا الظلم لا يطاق جعل النّاس يهجرون البلد**"[1]، ويذكر قصة خروج مساعد الداي (الحزناجي) لجباية الأموال والمعاملة القاسية لشيخ العرب في حالة امتناعه بحسن النية، أنّه يشعر بالغضب ويهدد بقطع رأسه ويصدر أمر تقييده بالسلاسل ويجلد، وإذا أعلن استعداه للدفع وتمّ الدفع يقربه إليه ويدعوه بصديقه وعلق شالر على هذه الحادثة بقوله" **وتنتهي هذه المهزلة التي تمثل بأمانة علاقات الشعب الجزائري بحكومة الأتراك الجزائرية**"[2].

ويذكر أيضا أنّ العديد من المناطق لم تكن تدفع الضرائب أو لم تكن خاضعة للحكم حيث كان لموضوع الضرائب وقع كبير على استقرار الحكم ويصف جون وولف آثار هذه العملية " ففي كل سنة تخرج فرقة من الانكشارية وتقوم (بغزوة) في المناطق الداخلية لجمع الضرائب وكانت هذه العملية دائما تقريبا عملية يكثر فيها الاضطراب، وغالبا ما يرافقها عنف شديد[3]، ويضيف كذلك بأن قبائل البربر من بجاية إلى جيجل لا يعترفون بأي حكم، ولا يدفعون الضرائب لحكومة الجزائر[4].

ويعلق سبنسر على الضرائب حيث يشير الى الاتفاقية الاصلية بين بابا عروج ووجهاء مدينة الجزائر قد نصت على أنّهم سوف لن تفرض عليهم أيّة ضريبة للواجبات الخاصة (كغرائم أوقات الحرب) مقابل الحماية التركية وحافظ عليها خلفاؤه[5]، ومن حديث سبنسر نرى أنّ هذه الاتفاقيات مع تغير سياسة الحكام العثمانيين تغيرت حسب الفترات والظروف التي مرت بها البلاد وفرضت على الأهالي ضرائب إضافية بعد تراجع موارد الخزينة ، مثل العشور، الزكاة، الخراج، الجزية، وهناك ضرائب محليّة كالحكور، اللّزمة، والغرامة، والخطيّة، وهي عادة ضرائب مستحدثة لضرورة، أو لغرض اجتماعي[6].

---

[1]- شالر: المصدر السابق، ص59.

[2]- نفسه: ص 68-69.

[3]- جون وولف: المرجع السابق، ص 176.

[4]- نفسه: ص177.

[5]- سبنسر: المرجع السابق، ص 67.

[6]- محمد شاطو: المرجع السابق، ص155.

إن نظام الضرائب في الجزائر كان يتصف بالواقعية، وقد راعى واقع البلاد ونفسية الأهالي، مما ساعد على نمو المصالح المتبادلة بين البايلك والفلاحين، حيث خصت كل منطقة وطبيعة تضاريس ها وأحوالها المناخية.

حيث يصف شالر الضرائب قائلاً "... **والضرائب تجبى على أساس ما ينص عنه القرآن (الزكاة)، ومتى تمت الجباية بحسن نية وإخلاص، يكون العبئ خفيفا وتوفر في نفس الوقت موردا كبيرا للدولة**"[1]، وتم إقرار بعض الضرائب الإضافية حسب الظروف، وهو ما أشار إليه بوبي الذي يرى أن " التحول الاقتصادي الذي شهدته إيالة الجزائر مع نهاية القرن التاسع عشر جراء نضوب الموارد الحرية دفع بالسلطة إلى مطالبة البايات بموارد بديلة لتغطية العجز اذي عرفته الخزينة، مما ضاعف الحملات واجبار القبائل خاصة ما قام به محمد الكبير لإخضاع القبائل في الغرب، إضافة إلى خروجه على رأس المحلة التي قادها لإخضاع قبائل الجنوب"[2].

من خلال ما سبق نستنتج أنّ الكتابات الأجنبية اكتست في نظرتها للوجود العثماني بالجزائر الصبغة الدينية المنبعثة من الصراع الاسلامي الصليبي في الحوض الغربي للمتوسط خاصة وأنّ جل هؤلاء الكتّاب المتقدّمين كانوا عبارة عن قساوسة ورجال دين استغلوا القرصنة والأسر للدعاية كذريعة لاستمرار الحروب وصورت العثمانيين على أنهم محتلين لمنطقة المغرب الإسلامي ومنها الجزائر، ولكن هذا لم يمنع ظهور بعض الأقلام التي كانت نظرتها للسلطة في الجزائر موضوعية خاصة المتأثرون منهم فكريا بحركة الاصلاح الديني وظهور الاستشراق، وفي الحقيقة أنّ هذه الكتابات في مجملها تقدم لنا بعض المعلومات الدقيقة حول الوجود العثماني والسلطة القائمة التي أغفلتها الكتابات المحلّية التي غالبا ما اتسمت بالظرفية وذلك راجع للفترة التي كتبت فيها هذه المؤلفات، لكن لابدّ للباحث من أن يتعامل مع هذه الكتابات الأجنبية بحيطة وحذر.

[1]- شالر: المصدر السابق، ص 58-59.

[2] - Pierre Boyer : **Contribution à L'étude de la politique religieuse des turcs dans la régence d'Alger 16-19 ème siècles**, in, R.O.M.M, N01, Aix-en-Provence, 1996, p37.

الخاتمة

**الخاتمة:**

بتتبعنا لفصول البحث يمكننا أن نوجز النتائج المتوصّل إليها في النقاط الآتية:

- أنّ العدوان الاسباني على الجزائر جاء نتيجة للتحولات التي شهدتها اسبانيا منذ توحيدها للقضاء على الوجود الاسلامي في وهو ما نتج عنه الانتقال إلى الضفة الجنوبية للمتوسط للاستمرار في ذلك بدوافع دينية، سياسية، واقتصادية، حيث ساعدهم في ذلك التفكك وتردي الأوضاع للمنطقة في جميع مجالات الحياة.

- انضمام الجزائر للدولة العثمانية كان حتمية تاريخية نظرا للظروف التي كانت تمر بها وساعد هذا في توحيد المنطقة تحت كيان سياسي موحد وهو الذي لم تشهده المنطقة من قبل وفق نظام دولة حديث.

- الظروف التاريخية من خلال رفع لواء الجهاد و بروز البحرية الجزائرية ودورها في الجهاد البحري نظرا للمجابهة وكثرة الصدامات و الحروب ساهم في إعطاء نظرة للمصادر المحلية حول تغطيتها وسردها للأحداث التاريخية وصفها للحروب حيث تقاطعت فيها آراء علماء والأدباء حول دور العثمانيين في الجهاد واجتهادهم وبطولاتهم في تحرير الثغور وشجاعتهم في التصدّي للحملات الأوروبية ساعد على التعرف على نظرتهم للوجود وتفاعل القوى المحلية معهم ودورهم في تنظيم الدولة وأعمالهم فيها .

- ظهور بعض الكتابات إن كانت قليلة والتي تحاملت عن السلطة العثمانية جراء بعض المعاملات الفردية لبعض الحكّام نتج عنه ظهور بعض الثورات ، وهوما يمثل بداية القطيعة بين العثمانيين والأهالي.

- بروز البحرية الجزائرية ودورها في الجهاد البحري نظرا للمجابهة وكثرة الصدامات أدّى إلى توافد عدد هائل للأسرى إلى مدينة الجزائر جعلها مكان إقامة لهم، وذلك في السجون وبيوت الخواص، والّذين تقلّدوا منهم وضائف في الدواوين والبايلكات ساعدهم في تدوين العديد من المؤلفات حول أوضاع الجزائر في عديد المجالات التي أغفلتها المصادر العربية.

- تميزت نظرة الكتابات المحلية في غالبيتها بالإشادة بالدور العثماني الايجابي وإعطاء نظرة مؤيدة للوجود العثماني ووصفه في مختلف مجالات الحياة نظير مساهمة الحكام بالنهوض بالبلاد.

- تحاملت معظم الكتابات التاريخية الأجنبية على الوجود والسلطة العثمانية في الجزائر واتسمت نظرتهم بالعدائية والمتحاملة لأن العثمانيين قطعوا عليهم الطريق لضمهم لمنطقة المغرب

الاسلامي ككل لأنها في نظرهم امتداد للحضارة الغربية (الحضارة الرومانية) واتصفت بالعدائية خاصة في كتابات المتقدّمين منهم لأنّ معظمهم قساوسة وأسرى ناقمين على وضعيتهم وأعطت صبغة العبودية عليها، ووصف المعاملة التي كانوا يتعرضون لها، وهذا لإثارة الأحاسيس والنيل من الجزائريين.

- تميزت الكتابات الأجنبية بالموضوعية في فترات متأخّرة حيث أنصفت نوعا ما السلطة العثمانية من خلال وصفها لمعظم جوانب الحياة في إيالة الجزائر والتي أغفلتها المصادر المحلية.
- إن نظرة الكتابات الأجنبية للوجود العثماني كانت متحاملة في مجملها فهي تتحامل في قضايا الجهاد البحري والأسرى وتنصف السلطة العثمانية بعض المجالات الأخرى كالقضاء والضرائب.

# الملاحق

**الملحق رقم01: غرناطة قبيل مصرعها ودول المغرب بعد الموحدين، المغرب بعد مصرع غرناطة وهجمات الإسبان على شواطئ المغرب الإسلامي**

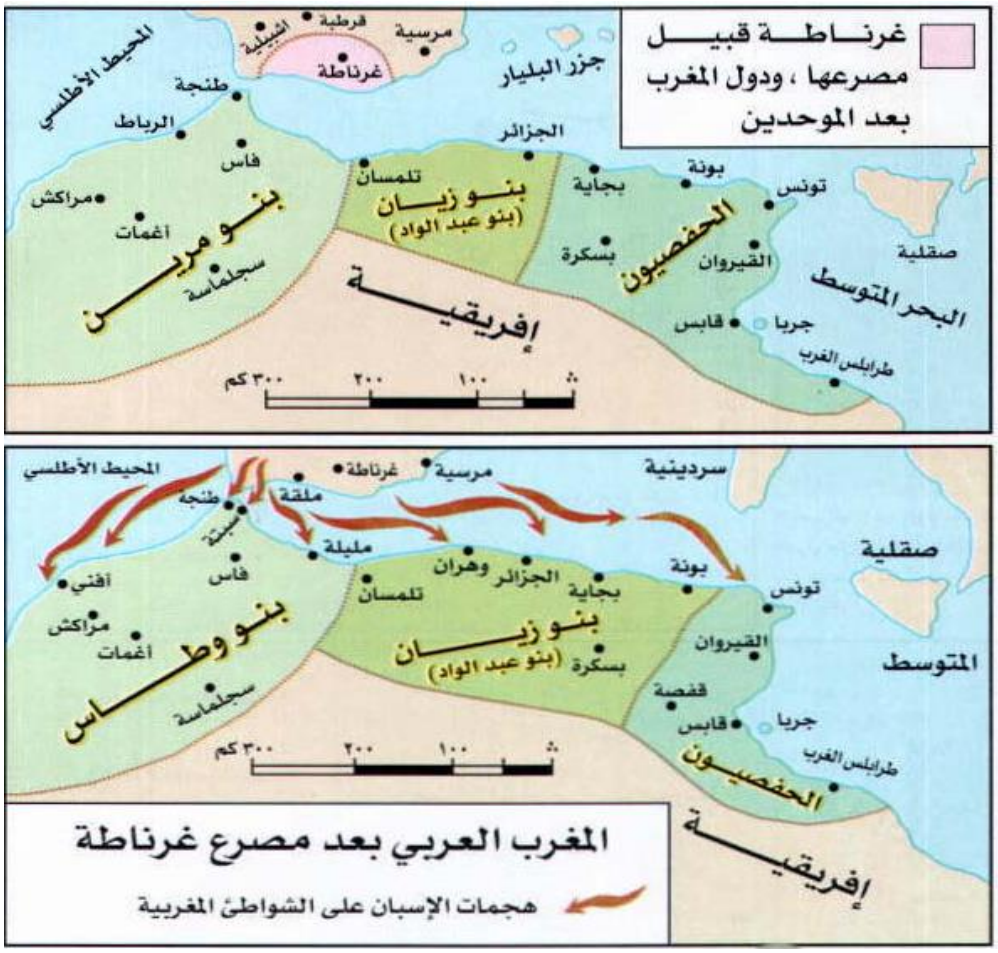


**المصدر: شوقي أبو خليل ، أطلس التاريخ العربي الإسلامي ، دار الفكر، طبعة محدثة مزيدة، دمشق سوريا، 1425هـ-2005م، ص84.**

**الملحق رقم03: رسالة أهالي الجزائر إلي السلطان سليم**

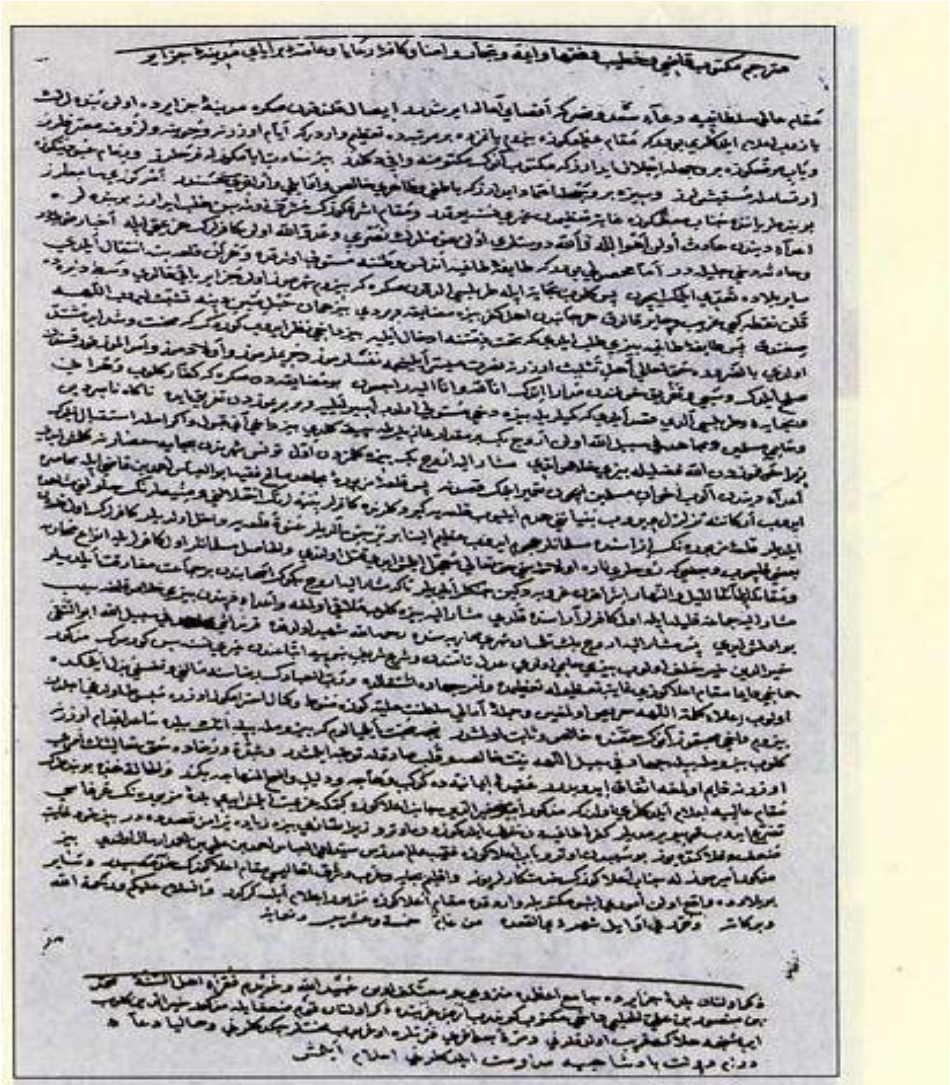

الرسالة التي أرسلها أهالي الجزائر إلى السلطان سليم الأول سنة 1519 يعرضون فيها رغبتهم في ضم الجزائر إلى الدولة العثمانية.
(أرشيف قصر طوب كابي سراي، إستانبول. رقم: 6456)

- **المصدر: مجهول، مذكرات خير الدين بربروس، تر محمد دراج، ط1، الجزائر،شركة الأصالة للنشر، 2010 م.**

## الملحق رقم04:ترجمة رسالة القاضي والخطيب والفقهاء والائمة والتجار والامناء وكافة سكان مدينة الجزائر العامرة.

اننا ندعو بالسعادة والنصر لمقام السلطنة العلية، دعاء يبلغها اقصى الاماني، فان عبيدها يكتبون الى مقامها العالي معبرين ومعترفين لمقامكم العالي بالإجلال والتعظيم ابدا، وان رسالتنا هذه لا تستطيع ان نستعرض كل الاسرار. ان سعادة ايامكم هي فرحتنا ونحن لزمام اموركم و طاعتكم مستبشرون وعليكم لا محالة اعتمادنا . فظاهرنا كباطننا مخلص لكم أولا وأخرا . فقد أطعنا امركم وعبيدكم ليس لهم غير جنابكم يرفعون اليه غاية الاجلال التقدير وليس لهم من قصد غير شريف مقامكم العالي.

لقد جرت حوادث جليلة ولها اخبار طويلة في نصر المؤمنين وهزيمة اعداء الله. ومفادها ان طائفة الطاغية لما استولت على بلاد الاندلس، انتقلوا منها الى قلعة وهران للاعتداء على سائر البلاد. غير انه بعد استلائهم على بجاية وطرابلس بقيت الجزائر (بين الكفار) كالنقطة في وسط الدائرة، وبقينا لذلك حياري متأسفين يحفنا الكفار من كل جانب ولكن تمسكنا بحبل الله المتين واتكلنا عليه. غير ان طائفة الطاغية شددت علينا الطلب هادفة ادخالنا تحت ذمته (سلطته) . وقد نظرنا في الامر ورأينا ان المحن والشدائد تشتد وان الضرورة تقضي بحقن دماء انفسنا وخوفا على حريمنا واموالنا و اولادنا من السبي والتفريق ، تصالحنا مع أهل التثليث و انا لله وانا اليه راجعون.

وبعد هذه المضايقة والحصار دخل الكفار الى وهران وبجاية وطرابلس وكان قصدهم ان يأتوا بسفنهم ويستولون علينا ويأسروننا ويشتتون شملنا فجأة . آنذاك قدم ناصر الدين وحامي المسلمين المجاهد في سبيل الله اوروج باي مع ثلة من الغزاة . فقابلناه بالعز والاكرام واستقبلناه ، لأننا كنا في خوف (من عدونا) فخلصنا بفضل الله . وأوروج باي المشار اليه جاءنا من تونس لإنقاذ بجاية من يد الكفار وتأهيلها بالمسلمين . فلما وصل الى القلعة وحاصرها مع المجاهد الفقيه الصالح أبو العباس أحمد بن قاضي زلزلوا وهاجموهم وهدموا بنيانها ، وشاهد الكفار عندما دخل القلعة المسلمون وهاجموهم واستولوا عنوة على برج منها، اختلال بنيانهم وقرب حتفهم هرب بعض الكفار الموجودين بالقلعة وقتل الباقون منهم.

لقد حارب المسلمون الكفار اناء الليل واطراف النهار من طلوع الشمس الى غروبها . على الرغم من ترك بعض من جماعة اوروج القتال، بقي المشار اليه يقاتل الكفار مع جماعة قليلة ، وكان قد عزم على

لقائنا غير أنه وقع شهيدا في حرب تلمسان رحمه الله . وقد حل مكانه أخوه المجاهد في سبيل الله أبو التقى خير الدين وكان له خير خلف ، فقد دافع عنا ولم نعرف منه الا العدل والانصاف واتباع الشرع النبوي الشريف ، وهو ينظر الى مقامكم العالي بالتعظيم والاجلال ويكرس نفسه وماله للجهاد لرضاء رب العباد واعلاء كلمة الله ومناط آماله سلطنتكم العالية مظهرا اجلالها وتعظيمها . على ان محبتنا له خالصة ونحن معه ثابتون . وكيف لا نحبه وهو المشمر عن ساعد الجد والاقدام ، ويقود الجهاد معنا في سبيل الله بنية صادقة وقلب صادق متفق الكلمة معنا في الشدة والرخاء لإعلاء كلمة الله . فالعقيدة الايمانية كوكب وهاج ودليل واضح المنهاج . ومفاد ما يريد عبيدكم اعلامه لمقامكم العالي هو أن خير الدين كان قد عزم قصد جنابكم العالي ان عرفاء البلدة المذكورة رفعت ايديها متضرعة اليه حتى لا يرتحل خوفا من الكفار اذ هدفهم هو "النيل منا" ونحن على غاية الضعف والبلاء . ولهذا ارسلنا بابكم العالي الفقيه العالم المدرس أبو العباس أحمد بن علي بن احمد ونحن واميرنا وان المذكور حامل مكتوب وسوف يعرض لحضرتكم ما يجري في هذه البلاد من الحوادث والسلام . اوائل ذي القعدة 925.

- عبد الجليل التميمي، المجلة التاريخية المغربية ، عدد6، جويلية/ يوليو1976، تونس، ص119-120.
- الرسالة موجودة بمتحف طوب كوبي تحت رقم:6456

**الملحق رقم 06:خريطة الجزائر العثمانية**

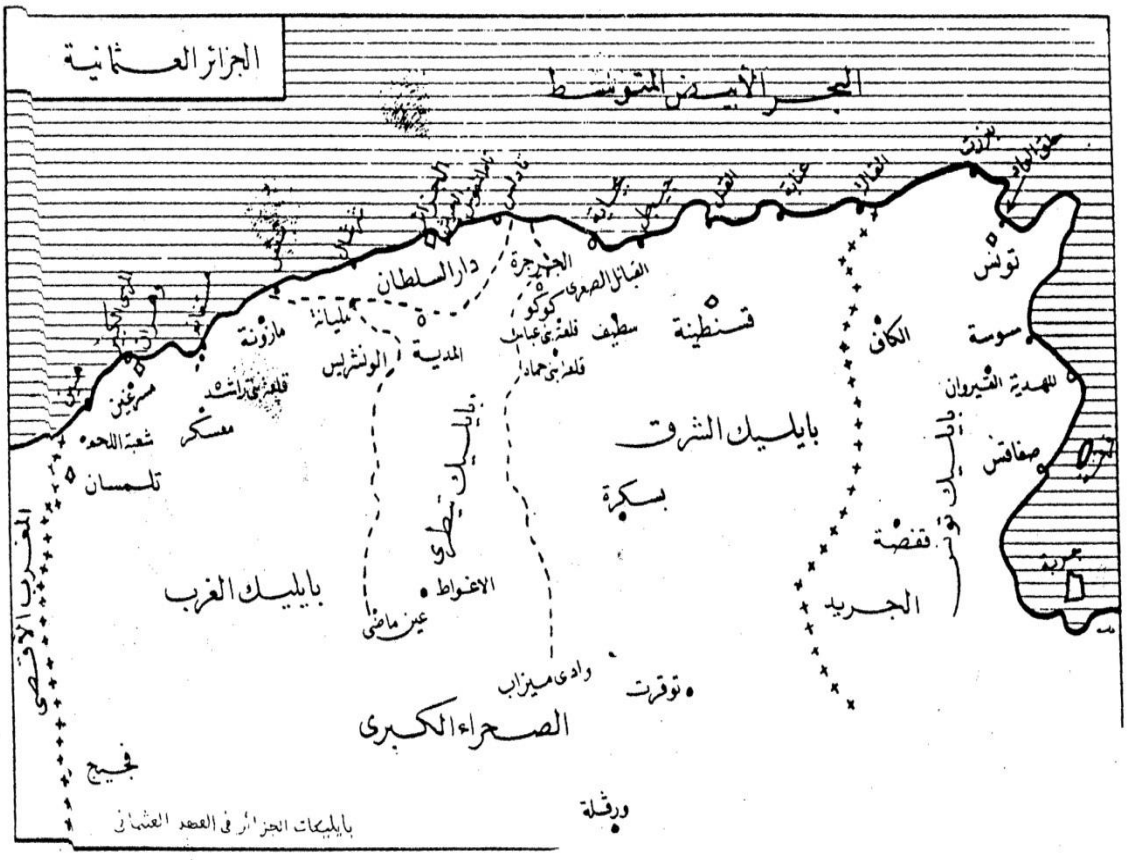


**خريطة الجزائر العثمانية**

**- يحيى بوعزيز: الموجز في تاريخ الجزائر، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، 2007، ج2، ص 153.**

**الملحق رقم07: واجهة كتاب بيير دان**

- Le pierre Dan : **Histoire de Barbarie et de ses Corsaires** ,chez pierre rocolet, Imprimeur & Libraire ordinaire du Roi, second Édition ,paris , 1646.

**الملحق رقم08: صور من كتاب بيير دان تظهر وضعية ومعاملة الأسرى**

- Le pierre Dan : op.cit. , pp 414-415

# البيبليوغرافيا

- **القرآن الكريم: رواية حفص عن عاصم**

## قائمة المصادر:

### باللغة العربية


1- ابن اسماعيل البخاري محمد، صحيح البخاري ، كتاب الجهاد والسير، دار ابن كثير، ط1، دمشق بيروت 1423هـ/2006م.

2- ابن الأشعث سليمان، سنن ابي داود، كتاب الجهاد، باب كراهية ترك الغزو، دار الحضارة للنشر والتوزيع، ط2، الرياض 1436هـ/2015م، رقم الحديث 2504.

3- التلمساني محمد بن رقية، الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة،مح، م، و، ج، ض، تع: خير الدين سعيدي الجزائري، الجزائر، ط1، أوراق ثقافية للنشر والتوزيع، 2017م.

4- التمكروتي علي بن محمد، النفحة المسكية في السفارة التركية، تق وتح عبد اللطيف الشّادلي، المطبعة الملكية ، الرباط، 1423هـ-2002م.

5- الجزائري ابن ميمون، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تق، تح، محمد بن عبد الكريم، ط2، ش، و، ن، ت، الجزائر، 1981.

6- ابن الحجاج النيسوري مسلم، صحيح مسلم، تح، رائد بن صبري ابن ابي علفة، ط2، دار الحضارة للنشر والتوزيع، الرياض،1436هـ.

7- خوجة حمدان بن عثمان، المرآة، تق، وتح، محمد العربي الزبيري، ط2، ش، و، ن، ت، الجزائر، 2005.

8- أبي راس الناصري محمد، عجائب الأسفار وطرائف الأخبار، المركز الوطني في الأنتروبولوجيا الاجتماعية والثقافية ، تق ، وتح محمد غالم ط، دت، وهران ،ج2

9- الراشدي ابن سحنون، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تح، تق، المهدي بوعبدلي، ط1، الجزائر عالم المعرفة، للنشر والتوزيع، 2013.

10- أبو زكريا يحي بن خلدون، بقية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تق، وتع، عبد الحميد حاجيات، ج1، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، 1986م.

11- الزهار أحمد الشريف، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، نقيب أشراف الجزائر، تح، أحمد توفيق المدني، ش، و، ن، ت، ط2، الجزائر.
12- الزياني محمد بن يوسف، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار وهران، تح وتق، المهدي البوعبدلي، د، ط، ش، و، ن، ت، الجزائر، 1979م.
13- ابن ابي الضياف أحمد، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، ج3، ط2، الدار التونسية للنشر، تونس 1977.
14- بن عبد القادر مسلم، أنيس الغريب والمسافر، تح، وتق، رابح بونار، ش، و، ن، ت، الجزائر، 1982.
15- العنتري صالح، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها( تاريخ قسنطينة)، تق، تج، يحي بوعزيز، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.
16- بن هطال التلمساني أحمد، رحلة الباي محمد الكبير باي الغرب الجزائري الى الجنوب الصحراوي الجزائري، تح، محمد بن عبد الكريم، ط1، عالم الكتب، القاهرة، مصر، 1696.
17- الورتيلاني حسين، نزهة الأنظار، في علم التاريخ والأخبار، ( الرحلة الورتيلانية ) مكتبة الثقافة الدينية، ج1،ط1،القاهرة، 2006.
18- الوزان حسن، وصف افريقيا، تر، محمد حاجي ومحمد الأخضر، ط2، لبنان، دار الغرب الإسلامي، 1983.

**المعرّبة:**

1. بربروسة خير الدين ، مذكرات خير الدين بربروس، تر .محمد دراج، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، .الجزائر العاصمة،2010.
2. بفايفر سيمون، مذكرات جزائرية عشية الاحتلال، تق، تعر، أبو العيد دود، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م.
3. تيدنا، الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني (مذكرات تيدنا أنموذجا)، تر . عميراوي .أحميدة، دار الهدى، الجزائر،2009 .

4. شالر وليام ، مذكرات شالر، قنصل أمريكا في الجزائر(1824 - 1816)، تر .إسماعيل العربي، ش .و .ن .ت، الجزائر،1982.
5. كاثكارت، مذكرات أسير الداي كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب، تر .إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، 1982.
6. مجهول، سيرة المجاهد خيرالدين بربروس في الجزائر، تح، تق، تع، عبد الله حمادي، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009م.
7. مجهول، غزوات عروج وخير الدين، تح، نور الدين عبد القادر، دار المكتبة الأدبية، الجزائرن1934.
8. هابنسترايت، رحلة العالم الألماني :ج .أو .هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس (1145هـ- 1732م)، تر .ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الاسلامي، تونس،2008 .

**المراجع العربية والمعربة:**

01- أجيرون شارل روبير، تاريخ الجزائر المعاصرة، تر، عسي عصفور، منشورات عويدات، ط1، بيروت، باريس، 1982م.
02- أندري شارل جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، تع، مربي البشير بن سلامة، ج2 ط2، الدار التونسية للنشر، 1985م.
03- إينالجيك خليل، التاريخ الاقتصادي و الاجتماعي للدولة العثمانية، تر، عبد اللطيف الحارس، دار المدار الاسلامي، ط1، بيروت، 2007.
04- الباروني محمد عمر، الإسبان وفرسان القديس يوحنا .
05- بوبكر محمد السعيد، العلاقات السياسية الجزائرية الاسبانية خلال القرن الثاني عشر هجري، 1119 هـ، الثامن عشر ميلادي1708م، بيت الحكمة، ط1، الجزائر، 2015م.
06- بوحوش عمار، التاريخ السياسي للجزائر من بداية ولغاية 1962م، دار الغرب الاسلامي، ط1، بيروت، 1997م.
07- بوعزيز يحي، الموجز في تاريخ الجزائر القديمة و الوسيطة والحديثة، ج1، دار البصائر للنشر، الجزائر، 2009م.

08- دراج محمد، الدخول العثماني الى الجزائر ودور الإخوة بربروس ( 1512-1534)، تص، ناصر الدين سعيدوني، شركة الاصالة للنشر، ط2، 2013م.

09- روسي إيتوري، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911م، تر، خليفة محمد التليسي، الدار العربية للكتاب، الإسكندرية، 1974م.

10- سبنسر وليام، الجزائر في عهد رياس البحر، تح، عبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2006م.

11- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ( 1500م-1830م)، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م.

12- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، (1500م-1830م)، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م

13- سعيدوني الناصر، ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار البصائر، ط2، الجزائر، 2009م.

14- سعيدوني ناصر الدين، الجزائر منطلقات وأفاق، مقاربة للواقع الجزائري، من حلال قضايا ومفاهيم تاريخية، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 200م.

15- سعيدوني ناصر الدين، رحلة العالم الألماني وهابنسترايت الى الجزائر وتونس وطرابلس( 1145هـ-1732م)، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2008م.

16- سعيدوني ناصر الدين، والمهدي بوعبدلي، الجزائر في التاريخ العهد العثماني، د، ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م

17- شوفاليه كورين ، ثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر، 1541/1510، تر، جمال حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعي، (د، ط)، 2007.

18- شويتام أرزقي، مجتمع الجزائر وفعالياته في العهد العثماني، (926هـ-1246)، (1519م-1830م)، ط1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2009م.

19- عبد الحميد ابن ابي زيان بن اشنهو، دخول الأتراك العثمانيون الى الجزائر، الطباعة الشعبية للجيش، د، ط، الجزائر، 1982م.

20- عياشي بلقاسم، قضايا التاريخ العثماني عند الباحثين الجزائريين منذ 1962م.

21- فاطمة الزهراء سيدهم، علاقات دايات الجزائر بالدولة العثمانية، د، ط، دار كوكب العلوم للنشر والتوزيع والطباعة، الجزائر، 2016م.
22- فكاير عبد القادر، الغزو الإسباني، لسواحل الجزائرية وأثره( 910هـ-1206هـ/1505م-1792م)، ط2، دار هومة للنشر، الجزائر، 2012م.
23- القحطاني سعيد بن علي بن وهف، الجهاد في سبيل الله، مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض، ط1، 6143هـ.
24- مالتسان هاينريش فون، ثلاث سنوات في شمال افريقيا، تر أبو العيد دودو، ج1، ش، و، ن، ت، الجزائر، 1976.
25- المحامي محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تح، إحسان حقي، ط1، دار النفائس، بيروت، 1971م.
26- محمد الشاطو، نظرة المصادر الجزائرية والأجنبية الى السلطة العثمانية في الجزائر، دار كوكب العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2018م.
27- المدني أحمد توفيق، محمد عثمان باشا داي الجزائر، 1791/1766، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.
28- المطوي محمد العروسي: الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، دار الغرب الإسلامي، د ط، لبنان،1982.
29- نايت بلقاسم مولود قاسم، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830م، ج1، ط1، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م.
30- هلايلي حنيفي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، د، ط، دار الهدى عين مليلة، الجزائر، 2009م.
31- وولف جون ب، الجزائر وأوروبا (1500-1830)، تر وتع، أبو القاسم سعدالله، ط، خ، الجزائر، 2009م.

**المصادر والمراجع الأجنبية:**

1. BELHAMISSI (Moulay), Les Captifs algériens & l'Europe Chrétienne (1518 - 1830), (ENAL), Alger, 1988.

2. F. Braudel, lesespagnol en Algérie,in Histoire et historien de l'Algérie,Félix Falcan, Paris,1930.
3. F. Braudel, La Méditerranée et le Monde Méditerranéen à L'époque de philipe 2, 5 éme édition, A.Colin, Tome2,1982.
4. DE ARANDA (Emanuel), Relation de la captivité et liberté de sieur Emanuel d'Aranda Jadis esclave à Alger, Edit. 3, Bruxelles, 1662.
5. BEN MANSOUR (Abd El Hadi), Alger XVIe - XVIIe siècle, Journal de Jean - Baptiste Gramaye, « évêque d'Afrique », Préface par André Mandouze, Editions du CERF, Paris, 1998.
6. Daniel Panzac, Barbary Corsairs, The End of a Legend 1800-1820, Tr. Victoria Hobson, LEIDEN: Brill, 2005.

7. C.A ,Rozet, voyage dans la régence d'alger ou description du pays occupé par l'armée en afrique,TII, A. Bertrand, paris, 1833.
8. M.L'abbè A.sisson et M.L'abbè A.crambon, 2éme ed, J.B.pèlagaud imprimeur-libraire, Paris1860.
9. De HAEDO (Fray Diego de), De la captivité à Alger, trad. par Moliner-Violle, Alger, 1911.
10. De Haedo Fray Diego de, Histoire des rois d'Alger ,trad et annotée par H. Grammont, ALGER, 1881.
11. De Haedo Fray Diego, Topographie et Histoire générale d'Alger, Tr. Mounreaut et Berbrugger, 1870.

12. Henri Delmas Grammont :Histoire d'Alger sous la domination turque 1830-1515, collection 25 XIX, France. 1887 .
13. Moulliescaux-L ,Histoire de L'Algérie –texte de J. Lassus, G. Marcais, p.Boyer, Les Poroduction de paris, 1962.
14. le pierre dan : histoire de Barbarie et de ses corsaires. Chez pierre rocolet. Imprimeur libraire ordnaire du roi, second édition, paris, 1646.

15. LAUGIER DE Tassy, Histoire du Royaume d'Alger, Préface Noël Laveau & André Nouchi, Editions, Loysel, Paris 1992.
16. Venture De Paradis, Tunis Et Alger Au XVIII Eme siécle, op.cit.
17. Ernest Mercier, Histoire de Constantine, 1éd, Gustave Jérôme Et-F-Biro, Imp, Edi, Constantine, 1903.
18. Gustave Gauterot La Quanquéte D'alger, 1830, Préface De M.Louis Bertrand De L'académie Francaises Payot, Paris,1929.
19. GODEFROY, et autres, Etat Des Royaumes De Barbarie, Tripoli, Tunis, & Alger, Avec la Tradition de A ROUEN, pour le rachat ou le soulagement des captifs l'Eglise.
20. Ernest Mercier :Histoire de Constantine ,1éd ,Gustave Jérôme Et -f-Biro, Imp, Edi ,Contantine,1903.
21. Henri Garrot : Histoir générale de L'Algérie ,imprimerie p. crescenzo, voutes bastion nord ,alger,1910,

**الدوريات:**

1. إبلالي أسماء، التحرشات الإسبانية على السواحل الجزائرية خلال القرن 10(هـ-16م)، قراءاة في الدوافع والنتائج مجلة روافد للبحوث والدراسات، جامعة غرداية، العدد2، 2017م.
2. بونو سلفاتوري، وضع الجاليات الأروبية في المغرب العربي قبل الاستعمار، مجلة الأصالة إصدار وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، العدد25، الجزائر، 1975م.
3. رزوق جيجيك، اهتمام الكتابات الفرنسية بالمخطوطات المحلية، المجلة الإفريقية نموذجا، مجلة رفوف، العدد5، مارس 2015م.
4. فلوسي مسعود، المذهب المالكي والسلطات المتعاقبة في الجزائر، مجلة البحوث العلمية والدراسات الاسلامية، العدد1، جامعة الجزائر 1، (1425هـ-2004م).
5. عبد العالي غزالي، تفادي سيدي عبد الله: صورة الجزائر في الرحلة الغربية خلال العهد العثماني رحلة هاينسترايت الحوار المتوسطي، المجلد9، العدد1، مارس، 2018م.

6. غطاس عائشة، سجلات المحاكم الشرعية وأهميتها في دراسة التاريخ الاقتصادي و الاجتماعي بمجتمع مدينة الجزائر في العهد العثماني، مجلة إنسانيات، وهران، عدد3، 1997م.
7. الشارف عديدة، الكتابات الغربية حول تاريخ الجزائر خلال فترة التواجد العثماني(1515م-1830م)، مجلة التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، العدد39، العراق، 2018م.
8. الطاهر قاسمي، كتابات المؤرخين المغاربيين خلال العهد العثماني، مجلة الإنسان والمجال، العدد5، المركز الجامعي نور البشير، البيض، 2017م.

**الرسائل الجامعية:**

1. بلقاسم قرباش، الأسرى الأروبيون في الجزائر خلال عهد الدايات(1671م-1830م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة مصطفى اسطنبولي معسكر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2015م.
2. بيشي رحيمة، العلاقات السياسية التونسية الإسبانية في أواخر الدولة الحفصية، (898هـ-982هـ/1494م-1574م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تخصص تاريخ الحديث، (ع، م)، المركز الجامعي بغرداية، 2012م.
3. حماش خليفة، الأسرة الجزائرية خلال العهد العثماني، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه، تخصص تاريخ الحديث والمعاصر، غير منشورة، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2006م.
4. سامية زبارة، الجهاد البحري في الجزائر العثمانية(1520م-1827م)، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي الحديث، جامعة ابن خلدون، تيارت، 2014م.
5. الشافعي درويش، علاقات الإيالات العثمانية في غرب المتوسط مع اسبانيا خلال القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تخصص تاريخ الحديث، (ع، م)، المركز الجامعي بغرداية، 2011م.
6. عائشة جميل، الجزائر والباب العالي من خلال الأرشيف العثماني (1520م-1830م)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ، جامعة جيلالي ليابس، سيدي بلعباس، 2017م.
7. لومي محمد ومزاري بلال، الأوضاع السياسية والعسكرية للجزائر في فترة البيلربايات ( 1519م-1587م)، مذكرة لنيل شهادة الماستر تاريخ حديث ومعاصر، جامعة جيلالي بونعامة، خميس مليانة، 2017م.

**الدوريات الأجنبية:**

1. Ahmed abi-ayad: Argel una etapa decisiva en la Obra y pensamiento deCervantès , Revue d'histoire Maghrébine, N°: 21 - 22, Avril, tunis,1981.
2. Alexander de Groot.H: Ottoman North Africa and the Dutch Republic in the seventeenth and eighteenth centuries, Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, N°39, Aix-en-Provence, 1985.
3. Kenneth Parker : "Reading 'Barbary' in Early Modern England, 1550–1685", The Seventeenth Century, Vol.19, N.01, 2004.
4. Maepler Paul Michel: The Barbary Captivity in American Culture, Early American Littérature, Volume 39,Number 2, 2004.
5. Pierre Boyer : Contribution à L'étude de la politique religieuse des turcs dans la régence d'Alger, 16-19 ème siècles, in, R.O.M.M, N01, Aix-en-Provence, 1996.

**الأطالس:**

01- شوقي أبو خليل ، أطلس التاريخ العربي الإسلامي ، دار الفكر، طبعة محدثة مزيدة، دمشق سوريا، 1425هـ-2005م.

**المعاجم:**

01- البعلبكي منير، معجم أعلام المورد وموسوعة التراجم الأشهر أعلام العرب والأجانب، القدامى والمحدثين، مستقاة من موسوعة المورد، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1992م.

**ملخّص:**

يعدّ موضوع نظرة الكتابات المحلّية والأجنبية للوجود العثماني في الجزائر موضوعا مهما حيث يؤرخ لحقبة تاريخية مهمة من ناحية المنعرج الخطير الذي مرت به وذلك من خلال التمزق السياسي وكثرة التحرشات الإسبانية إلى غاية ظهور العثمانيين ودورهم في صد العدوان الصليبي وظهور الجزائر كإيالة قوية بعد انضمامها للدولة العثمانية، حيث أدّى إلى كثرة الكتابات التاريخية حول فترة الوجود العثماني فيها وتباينت وتنوعت بين كتابات محلية وأخرى أجنبية، فالمحلية ترى في العثمانيين حامي الدّين والأرض من العدوان الصليبي فجاءت الكتابات مناصرة ومتعاطفة معه، أمّا الأجنبية فتحاملت واكتست بصبغة دينية فترى في الإسلام عدو يجب محاربته وترى كذلك أنّ الوجود العثماني قطع الطريق عليها إذ تعتبر أراضي المغرب الإسلامي امتدادا لأوروبا وصورت العثمانيين في ثوب المحتل والمغتصب للأرض فترى أنه لابد من تحرير شعوب المنطقة منه، ولكن وبالرغم من ظهور بعض الأقلام الموضوعية لكن النظرة بقيت نفسها في أغلب كتابات المتأخرين.

**الكلمات المفتاحية:** الجزائر- الوجود العثماني- الكتابات التاريخية المحلية- الكتابات التاريخية الأجنبية

**Abstract**

Local and foreign writings view of the Ottoman presence in Algeria is an important issue. For, it chronicles an important historical period in terms of the dangerous turnaround it has experienced through political rupture and the frequent harassment of the Spanish until the advent of the Ottoman and their role in repelling the Crusader aggression and the appearance of Algiers as a strong regency after its accession to the Ottoman Empire which led to a great number of historical writings about the period of Ottoman existence in which local and foreign writings varied. Localism sees the Ottomans as the protector of religion and land from the Crusader aggression, so writings came in support and sympathy with them. As for foreigners, they are fascinated and imbued with a religious tone. They see Islam as an enemy that must be combated. They also see that the Ottoman presence is as an obstacle to them and has cut off the road as the lands of the Islamic Maghreb are an extension of Europe. The Ottomans were portrayed as

colonizers and usurpers of land. They saw that peoples of the region must be liberated from them. But, despite the appearance of some objective writings, the outlook remained the same in most of the writings of the latecomers.

**Keywords**: Algeria - Ottoman Presence - Local Historical Writings - Foreign Historical Writings.

# فهرس المحتويات

# فهرس المحتويات

**الشكر**

**الإهداء**

**قائمة المختصرات**

**مقدمة**.....01

**الفصل الأول: ظروف الانضمام للدولة العثمانية**

**المبحث الأول : المغرب الاسلامي نهاية القرن 15م**.....10

**المبحث الثاني : التحرشات الإسبانية** .....16

**المبحث الثالث: انضمام الجزائر للدولة العثمانية** .....27

**الفصل الثاني: نظرة الكتابات المحلية للوجود العثماني في الجزائر**

**المبحث الأول : الجهاد البحري**.....33

**المبحث الثاني: علاقة الحكام بالمحكومين**.....42

**المبحث الثالث: القضاء**.....48

**المبحث الرابع: العلم والعلماء والثقافة** .....50

**المبحث الخامس: العمران** .....57

**الفصل الثاني: نظرة الكتابات الأجنبية للوجود العثماني في الجزائر**

**المبحث الأول : النشاط البحري ( القرصنة )**.....61

**المبحث الثاني: الأسرى**.....70

**المبحث الثالث: الحكام والمحكومين** .....80

**المبحث الرابع: القضاء والأمن** .....84

**المبحث الخامس: المال العام والضرائب**.....89

**الخاتمة:**.....94

**الملاحق:**.....97

**البيبليوغرافيا:** .....105

**الملخص:** .....115

**فهرس المحتويات:**.....117

الحمد لله